

العنوان:	صرف الممنوع من الصرف
المؤلف الرئيسي:	المذهان، صالح فليح زعل
مؤلفين آخرين:	اللبيدي، محمد سمير نجيب عبد الباقي (مشرف)
التاريخ الميلادي:	2010
موقع:	عمان
الصفحات:	1 - 156
رقم MD:	540902
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة الشرق الأوسط
الكلية:	كلية الآداب
الدولة:	الأردن
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	الصرف ، الممنوع من الصرف، الإعراب، اللغة العربية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/540902

الفصل الأول

صرف الممنوع من الصرف

في القرآن الكريم وقراءاته

صرف الممنوع من الصرف في القرآن الكريم وقراءاته

تعد القراءات القرآنية¹ مصدرًا أصيلاً لدراسة اللغة العربية في مستوياتها كافة الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية ، فالقراءات القرآنية سواء أكانت متواترة أم شاذة تمثل وجهًا من وجوه العربية ، ويؤكد ذلك ابن خالويه بقوله : " فإني تدبرتُ قراءة الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة² المعروفين بصحة النقل ، وإتقان الحفظ المأمونين على تأدية الرواية واللفظ ، فرأيت كلاً منهم ، قد ذهب في إعراب ما انفرد به من حرف مذهباً من العربية لا يدفع ، وقصدَ من المقياس وجهًا لا يُمنعُ فوافق باللفظ والحكاية طريق النقل والرواية غير مؤثر للاختبار على واجب الآثار³ .

وقد وضع علماء القراءات ضوابط للتمييز بين القراءات المتواترة والقراءات الشاذة فالقراءة المتواترة هي " كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، وصح سندها⁴ . أمّا موقف النحاة من الاستشهاد بالقراءات القرآنية فقد كانت مواقف متباينة ، فمنهم من رفض الاستشهاد بالقراءات التي خالفت قواعد اللغة العربية ومنهم من استشهد بها واقتصر على القراءات المتواترة التي وافقت قواعد النحاة التي قعدوها ومنهم من وسّع دائرة الاحتجاج بها فاستشهد بالقراءات المتواترة والشاذة .

¹ - القراءات في الاصطلاح : " اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف ، أو كيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما " . البرهان في علوم القرآن : 1 / 395 وما بعدها .

وقيل في تعريفها : " علم يعرف به اتفاق الناقلين لكتاب الله - تعالى - واختلافهم في أحوال النطق به من حيث السماع " . شرح الفاسي على الشاطبية : 1 / 24 .

² - الأمصار الخمسة : مكة ، والمدينة ، والبصرة ، والكوفة ، والشام ، والأئمة هم : ابن كثير المكي ونافع المدني ، وأبو جعفر المدني ، وأبو عمرو البصري ، وعاصم الكوفي ، والكسائي الكوفي ، وابن عامر الشامي .

³ - الحجة في القراءات السبع : 38 .

⁴ - النشر في القراءات العشر : 1 / 15 .

فقد وقف سيبويه من القراءات موقفاً معتدلاً " وقد استشهد بها ، واستخلص منها القواعد ، وقاس عليها كلام العرب ، أو قاسها على كلام العرب ، ونظر إلى الآيات الواردة في المصحف العثماني ، فهو لم يُخَطِّ قراءة ، ولم يُلَحِّن قارئاً ، ولم يُرَجِّح قارئاً من القراء على غيره ¹ .

وأما النحاة المتأخرون فقد استشهدوا بالقراءات القرآنية ، فابن الحاجب " كان يؤمن بتواتر القراءات السبع ، وإنَّ الاستشهاد بها أخرى من الاستشهاد بغيرها وأقوى ² . و استشهد ابن مالك بالقراءات جميعها المتواترة والشاذة " ورد على النحويين المتقدمين الذين يعيرون على عاصم وحمزة وابن عامر قراءات بعيدة في العربية ، وينسبونهم إلى اللحن وهم مخطئون في ذلك ، فإنَّ قراءتهم ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة التي لا مطعن عليها وثبت ذلك دليل على جوازه في العربية ³ . أما أبو حيان فقد " وقف موقفاً وسطاً بين البصريين والكوفيين ، وذلك لأنه قِيلَ القراءات المتواترة وأخذ بها ووقف من القراءات الشاذة موقف الحذر والاحتراش ⁴ .

وممَّا لا شك فيه أنَّ القراء اتبعوا أصح الطرق في النقل اللغوي ، فلم يكتفوا بالسماع بل اعتمدوا على الرواية الصحيحة فتلقوا قراءاتهم من أفواه العلماء مشافهة وعرضوا قراءاتهم على أهل العلم منهم ، ويؤكد هذا ابن الجزري إذ يقول : " أئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأفيس في العربية بل على الأثبت

¹ - الاستشهاد بالآيات القرآنية عند سيبويه : 294 .

² - المدرسة النحوية في مصر والشام : 90

³ - الاقتراح : 7 .

⁴ - المدرسة النحوية في مصر والشام : 337 .

في الأثر والأصح في النقل والرواية ، إذا ثبت عنهم لم يردّها قياس عربية ولا فشو لغة ؛ لأنّ القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها ¹ .

صرف صيغة منتهى الجموع

وقد وردت ألفاظ مصروفة في القرآن الكريم وقراءاته جاءت مغايرة لقاعدة الممنوع من الصرف ، ومن هذه الألفاظ قوله تعالى : " إنا أعتدنا للكافرين سلاسلًا وأغلالًا وسعيرًا " ² .
الشاهد : سلاسلًا .

وجه الاستشهاد : حيث صُرّفت (سلاسلًا) ، وحققا أنّ تكون ممنوعة من الصرف لأنها على صيغة منتهى الجموع . وقد قرأ بها الكسائي ³ ، والإمام نافع المدني ⁴ ، وهشام ⁵ وأبو جعفر المدني ⁶ ، وشعبة ⁷ ، وهي قراءات متواترة ⁸ .

¹ - النشر في القراءات العشر : 1 / 11 .

² - سورة الإنسان : 76 : 4 .

³ - أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي النحوي مولى بني أسد ، انتهت الإمامة في القراءة إليه ، واعتمد في قراءته على حمزة ، مات - رحمه الله - سنة تسع وثمانين ومئة . غاية النهاية في طبقات القراء : 1 / 535 .

⁴ - نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم مولى جعونة بن شعوب اللبثي ، وكنيته أبو عبد الرحمن وقيل : أبو رؤيم أصله من أصبهان وبالمدينة أقام ، وبها مات سنة سبع وستين ومئة ، قرأ على سبعين من التابعين منهم : أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، وقرأ أبو جعفر على عبد الله بن عباس ، وعلى عبد الله بن عياش موله ، وعلى أبي هريرة وقرؤوا على أبي بن كعب ، وقرأ أبي على رسول الله صلى الله عليه وسلم . غاية النهاية : 2 / 330 .

⁵ - هشام بن عمار بن نصير بن أبان بن ميسرة السلمي القاضي الدمشقي ، وكنيته أبو الوليد ، أخذ القراءة عرضاً عن أيوب بن تميم وعراك بن خالد وسويد بن عبد العزيز والوليد بن مسلم وصدقة بن خالد ومدرّك بن أبي سعد وعمر بن عبد الواحد ، مات سنة خمس وأربعين ومائتين . غاية النهاية : 2 / 354 .

⁶ - يزيد بن القعقاع الإمام أبو جعفر المخزومي المدني القارئ ، أحد القراء العشرة تابعي مشهور كبير القدر مات بالمدينة سنة 130 هـ . غاية النهاية : 2 / 382 .

⁷ - شعبة بن عياش بن سالم أبو بكر راوي عاصم ، توفي سنة ثلاث وتسعين ومئة . غاية النهاية : 1 / 327 .

⁸ - انظر : كتاب السبعة : 663 ، التذكرة في القراءات لابن غلبون : 524 ، حجة القراءات : 737 وما بعدها ، التيسير في القراءات السبع : 217 ، المستتير : 2 / 512 ، الإمتاع في القراءات العشر : 479 فتح الوصيد في شرح القصيد : 2 / 499 وما بعدها ، شرح الفاسي : 45/3 ، النشر : 295/2 =

قال الإمام الشاطبي¹ :

سلاسل نونٌ إذ رَوَوْا صَرْفَهُ لَنَا وَبِالْقَصْرِ قِفْ مِنْ عَن هُدَى خُلْفُهُمْ فَلَا²

وقد اختلف النحاة في تعليل قراءة (سلاسل) ، فذهب أبو جعفر النحاس وأبو علي الفارسي إلى " أَنَّ العرب تصرف كل مالا ينصرف إلا أفعل منك ، وهي لغة أهل مكة والمدينة³ " أمَّا العكبري فيرى " أَنَّ قومًا أخرجوه على الأصل و قرب ذلك عندهم شيئان : أحدهما إتباع ما بعده ، والثاني : أَنَّهُم وجدوا في الشعر مثل ذلك منونًا في الفواصل⁴ . أمَّا الزجاج فقد ذهب إلى أَنَّ " الأجود في العربية ألاَّ تصرف (سلاسل) ولكن لما جُعِلَتْ رأس آية صُرِفَتْ ليكون آخر الآي على لفظ واحد⁵ " .

وقد روى أبو جعفر النحاس أَنَّ أبا عمرو بن العلاء البصري⁶ ، وحمزة الكوفي⁷ قد قرأاً (سلاسل) بغير تنوين ، وقد وقف حمزة الكوفي على (سلاسل) بالالف ؛ لأنَّ هذه

تحرير التيسير في القراءات العشر : 599 ، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر : 429 البدور الزاهرة 340 الوافي في شرح الشاطبية : 307 .

¹ - القاسم بن فيرة ، ومعناها بلغة عجم الأندلس الحديد وُلِدَ في آخر سنة ثمانٍ وثلاثين وخمس مئة بشاطبية من الأندلس ، كان إمامًا كبيرًا أعجوبة في الذكاء ، كثير الفنون ، آية من آيات الله تعالى غاية في القراءات حافظًا للحديث ، بصيرًا باللغة العربية ، إمامًا في اللغة ، رأسًا في الأدب مع الزهد والولاية والعبادة والانتقطاع ، شافعي المذهب مواظبًا على السنة . شرح الفاسي على الشاطبية : 1 / 22 .

² - شرح الفاسي على الشاطبية : 450/3

³ - إعراب القرآن : 1239 ، والحجة للقراء السبعة : 4 / 82 .

⁴ - التبيان في إعراب القرآن : 2 / 480

⁵ - معاني القرآن ، إعرابه : 5 / 258 .

⁶ - أبو عمرو زيان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحارث بن جهم بن حجر بن خزاعي من أئمة القراءة والنحو والشعر والعربية ، ومن أهل الثقة والعدالة ، قرأ على مجاهد بن جبر ، وقرأ مجاهد على ابن عباس ومات بالكوفة سنة أربع وخمسين ومئة . غاية النهاية في طبقات القراء : 1 / 288 .

⁷ - حمزة بن حبيب بن عمارة الزييات التميمي مولى بني عجل ، أخذ القراءة عن الأعمش وحمران بن أعين وابن أبي ليلى ، مات بجلوان سنة ست وخمسين ومئة ، وكان - رحمه الله - زكيًا متورعًا . غاية النهاية في طبقات القراء : 1 / 261 .

الألف موجودة في مصاحف أهل المدينة ، وأهل الكوفة . وحجة أبي عمرو ، وأبي جعفر أن (سلاسل) جاءت على (فعالل) ، وهذه الصيغة ممنوعة من الصرف¹ .

ومن شواهد صرف الممنوع من الصرف في القرآن الكريم قوله تعالى : "ويطاف عليهم بأنية من فضة وأكواب كانت قواريرا ، قواريرا من فضة قدروها تقديرا"² .
موطن الشاهد : قواريرا .

وجه الاستشهاد : حيث جاءت (قواريرا) منونة في قراءة ابن كثير³ ، والكسائي وعاصم⁴ إلا حفصا ، وأهل الحجاز ، وأهل المدينة ، وقد قرأ حمزة وابن عامر⁵ بغير تنوين⁶ .

وقد علل الشاطبي هذه القراءة بأنها " لغة لبعض العرب وأنه الأصل"⁷ ، " وقد نص أبو عبيد على كتابة هذه الأحرف الثلاثة : (سلاسل ، قواريرا ، قواريرا) بالألف

¹ - انظر إعراب القرآن : 1239 ، والحجة في القراءات السبع : 235 .

² - سورة الإنسان : 76 : 15 ، 16 .

³ - عبد الله بن كثير المكي مولى علقمة بن عمرو الكناني ، ويعرف بالداري ، قرأ على مجاهد بن جبر ، وقرأ مجاهد على ابن عباس ، وقرأ ابن عباس على أبي بن كعب وزيد بن ثابت ، وقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة عشرين ومئة . غاية النهاية : 1 / 443 .

⁴ - عاصم هو أبو بكر بن أبي النجود بن بهذلة ، أخذ القراءة عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي مات - رحمه الله - سنة ثمان وعشرين ومئة بالكوفة . غاية النهاية في طبقات القراء : 1 / 346 .

⁵ - عبد الله بن عامر اليحصبي ، قرأ على عثمان وعلى أبي الدرداء - رضي الله عنهما - وقرأ على المغيرة المخزومي . أجمع أهل الشام على قراءته ، مات بدمشق أيام هشام بن عبد الملك سنة ثمان عشرة ومئة . غاية النهاية : 1 / 423 .

⁶ - انظر كتاب السبعة : 663 ، التذكرة في القراءات لابن غلبون : 524 ، حجة القراءات : 737 وما بعدها ، التيسير في القراءات السبع : 217 ، المستتير : 2 / 512 ، الإمتاع في القراءات العشر : 479 فتح الوصيد في شرح القصيد : 2 / 499 وما بعدها ، شرح الفاسي : 3 / 45 ، النشر : 2 / 295 ، تحبير التيسير في القراءات العشر : 599 ، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر : 429 ، البدور الزاهرة 340 الوافي في شرح الشاطبية : 307 .

⁷ - شرح الفاسي على الشاطبية : 3 / 453 ، وانظر البحر المحيط : 8 : 342 ، وشرح الأشموني : 2 / 542 .

في مصاحف أهل الحجاز والكوفة ، قال : رأيتها في مصحف عثمان بن عفان الأولى (قواريرا) بالألف مثبتة والثانية كانت بالألف ، فحكت ، ورأيت أثرها بيّناً هناك ¹ .

وعلل بعض العلماء تنوين (قواريرًا ، وسلاسلًا) من باب إتياع اللفظ للفظ لأنّ العرب ربّما قلبت إعراب الشيء ليتبع اللفظ اللفظ ، وهو ما يطلق عليه (الإتياع والمزاوجة)².

ويتراءى للباحث أنّ هذا القول مجانب للصواب ويحتاج إلى الدليل والحجة والبرهان لأنّ " الإتياع أنّ تتبع الكلمة الكلمة في وزنها أو رويها إشباعاً وتأكيداً ، ورؤي أنّ بعض العرب سئل عن الإتياع ، فقال : هو شيءٌ نَدَّ³ به كلامنا . وذلك قولهم : سَاعِبْ لَاعِبٌ وهو خَبٌّ ضَبٌّ وخرابٌ يَبَابٌ " ⁴.

وقد ذكر ابن سيده أنّ الإتياع على ضربين : " فَضْرُبٌ يكون فيه الثاني بمعنى الأول فَيُؤْتَى به توكيداً ؛ لأنّ لفظه مُخَالِفٌ للفظ الأول ، وَضْرُبٌ فيه معنى الثاني غير معنى الأول فمن الإتياع قولهم : أَسْوَانُ أَتْوَانُ في الحزن فأسوان من قولهم : أَسِيَ الرجل أَسَى : إِذَا حَزَنَ ورجل أَسِيَانٌ وأَسْوَانٌ : أي حزين وأتوان من قولهم : أَتَوْتَهُ أَتَوَةً بمعنى : أَتَيْتَهُ أَتِيَةً وهي لغة لهذيل " ⁵ .

¹ - النشر في القراءات العشر : 296/2 .

² - انظر : معاني القرآن للفراء : 214/3 ، معاني القرآن وإعرابه : 260/5 .

³ - وَتَدَ : الوتد بالكسر والوتد والود ما رُزَّ في الحائط أو الأرض من الخشب والجمع أوتادٌ وَتَدَ الوتدُ وَتَدًا وَتَدَةً وَتَدَ كلاهما ثبت وَتَدْتُهُ أَنَا أَتَدُهُ وَتَدًا وَتَدَةً وَتَدْتُهُ أَتَدْتُهُ قَالَ ساعدة بن جؤية يصف أسداً :
يُقَصِّمُ أَعْنَاقَ الْمَخَاضِ كَأَنَّمَا
بِمَفْرَجٍ لَحْيِيهِ الرِّتَاجُ الْمُؤْتَدُ

لسان العرب : مادة (وتد) .

⁴ - المزهر : 1 / 414 .

⁵ - المخصص : 14 / 214 .

ويتضح للباحث ممّا سبق أنّ الإتياع عند العرب أنواع : منها ما يكون الثاني قد جاء على وزن الأول كقولهم : ساغب لاغب ، فكلاهما اسم فاعل على وزن فاعل ، والنوع الثاني أنّ يكون الثاني بمعنى الأول كقولهم : أسوان أتوان ، فهما بمعنى واحد وهو الحزن .

ويميل الباحث إلى القول : إنّ توجيه صرف (سلاسلاً) بأنّها للتناسب ، أو للإتياع أو لمناسبة فواصل الآيات توجيه غير علمي ؛ لأنّ الإتياع كما قرره اللغويون يشترط أن تكون الكلمتان متفقتين في المعنى والوزن معاً ، ويؤكد ذلك ما قرره عبد الرحمن تاج بقوله : " ويكون التناسب بإيثار إحدى صيغتين للفظ مع تساوي الصيغتين في الدلالة على المعنى المراد " ¹ .

ويترأى للباحث أنّ التناسب أو الإتياع لا ينطبق على (سلاسلاً وأغلالاً) ، وممّا يدلّ على أنّ قراءة الصرف ليست للتناسب ، أو للإتياع ما ذهب إليه ابن خالويه ، فقد ذكر " أنّ ثمة قراءة منعت (قوارير) من الصرف ، وهي قراءة الأعمش فقد قرأ (قوارير) بالمنع من الصرف ؛ لأنّها على صيغة منتهى الجموع ² .

وممن رفض تخريج قراءة (قواريرا) بالتناسب سمير ستيتية إذ يقول : " فالقراءة التي تصرف كلمتي (قواريرا) لم تأخذ بالتناسب بعين الاعتبار ، بل لا وجه لهذا التناسب أصلاً ، فكلمة (أكواب) مجرورة ، وكلمتا (قوارير) منصوبتان ، فأين هو هذا التناسب الذي حملت عليه الآية الكريمة حملاً ؟ فإن قيل : إنّ المقصود من التناسب هنا تناسب رؤوس الآي في السورة كلها ، قلنا : إنّ هذا غير صحيح أيضاً ؛ لأنّ التتوين لا يوقف عليه أصلاً وبذلك لا يصح القول : إنّ صرف كلمتي (قواريرا ، قواريرا) في قراءتي نافع المدني

¹ - السجع وتناسب الفواصل وما يكون من ذلك في القرآن الكريم : 31 ، مجلة مجمع اللغة العربية الجزء السادس والثلاثون . القاهرة ، سنة 1975 .

² - مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع : 166 .

والكسائي قد كان للتناسب ، والحق في نظري أنه ما كان إلا أخذاً بلهجة مَنْ يصرف الممنوع من الصرف¹ .

ويميل الباحث إلى القول : إنَّ صرف (سلاسل ، وقوارير) لغة فصيحة من لغات العرب لا يمكن إنكارها ولا إغفالها مستنداً إلى القراءات القرآنية المتواترة التي صرفت هذه الألفاظ ، وقد قرأ بها أئمة القراء : الكسائي ، ونافع المدني ، وهشام ، وأبو جعفر ، وشعبة فالقراءات القرآنية " ما هي إلا وجوه من الخلاف بين لهجات القبائل² .

كما أنَّ النحاة قد أجازوا في هذه الألفاظ الصرف والمنع ، فذهب فريق من النحاة إلى جواز صرفها ، وعدوه لغة من لغات العرب ، وهي لغة أهل مكة ، وأهل المدينة ، وممن ذكر ذلك أبو علي الفارسي ، وأبو جعفر النحاس ، وغيرهم من النحاة ، وقد قال بعضهم :

وَالصَّرْفُ فِي الْجَمْعِ أَتَى كَثِيرًا حَتَّى ادَّعَى قَوْمٌ بِهِ التَّخْيِيرًا³

ومما يقوي هذا الرأي ما ذكره ابن الجزري من قول أبي عبيد⁴ إذ يقول : " وقد نص الإمام أبو عبيد على كتابة هذه الأحرف الثلاثة (سلاسل ، قوارير ، قواريرا) بالألف في مصاحف أهل الحجاز والكوفة ، قال : رأيتها في مصحف عثمان بن عفان الأولى (قواريرا) بالألف مثبتة ، والثانية كانت بالألف ، فَحُكَّتْ ، ورأيت أثرها بيئاً هناك⁵ .

¹ - رؤية جديدة في تفسير التنوين : 126 .مجلة جامعة الملك سعود ، م 5 ، الآداب (1) ، 1413هـ / 1993 م .

² - اللهجات العربية في التراث : 1 / 187 .

³ - البحر المحيط : 8 / 394 ، روح المعاني : 13 / 68 .

⁴ - القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي بالولاء الخراساني البغدادي ، من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه . قال الجاحظ : لم يكتب الناس أصح من كتبه ، ولا أكثر فائدة . ومن مصنفاته : الغريب المصنف وغريب الحديث ، وغريب القرآن ، وفضائل القرآن . الأعلام : 5 / 176 .

⁵ - النشر في القراءات العشر : 296/2 .

أما حكم صرف الاسم المنقوص من صيغة منتهى الجموع إذا كان مجرداً من (أل) والإضافة فتُحذف ياءه في حالتي الرفع والجر ، مع بقاء الكسرة قبلها ، ومجيء التنوين عوضاً عنها . ومن الأسماء المنقوصة التي جاءت على صيغة منتهى الجموع كلمة (غَوَاشٍ) في قوله تعالى : " لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ " ¹.

وقد اختلف النحويون في تعليل حذف ياء الاسم المنقوص من صيغة منتهى الجموع فمذهب سيبويه أنَّ الياء حُذفت طلباً للخفة ، وعُوض عنها بالتنوين ، فيقول : " واعلم أنَّ كل شيء من بنات الياء والواو كان على هذه الصفة فإنه ينصرف في حال الجر والرفع وذلك أنهم حذفوا الياء فحفَّ عليهم ، فصار التنوين عوضاً . وإذا كان شيء منها في حال النصب نَظَرْتَ فَإِنْ كان نظيره من غير المعتلة مصروفاً صَرَفْتَهُ ، وَإِنْ كان غير مصروف لم تَصْرِفْهُ " ² . وقد اتبع سيبويه ابنُ جني ، والزجاج ، وأبو حيان الأندلسي ، وابن عصفور والسيوطي ³ .

أما المبرد فيرى " أنَّ التنوين بدل من ذهاب الحركة ؛ لأنَّ الأصل في (جوارِي) أنَّ تقول : (جوارِي) ، فتحذف التنوين ؛ لأنه لا ينصرف ، ثم تحذف حركة الياء لاستئصالها لأنَّ الياء المكسور ما قبلها يُسْتَنْقَل عليها الضم ، والكسر ، فتبقى الياء ساكنة ولا تسقط حتى يدخل التنوين ؛ لأنَّ سقوطها لاجتماع الساكنين . فوجب من هذا أنَّ يكون التنوين أتي به عوضاً من ذهاب الحركة ، ثم التقى ساكنان فأسقط الياء " ⁴ .

¹ - سورة الأعراف : 7 : 41 .

² - الكتاب : 3 / 308 .

³ - انظر : سر صناعة الإعراب : 2 / 75 ، الإيضاح في علل النحو : 98 ، شرح جمل الزجاجي : 2 / 339 ارتشاف الضرب من لسان العرب : 2 / 668 ، همع الهوامع : 1 / 115 .

⁴ - شرح كتاب سيبويه : 4 / 75 ، انظر شرح الكافية : 1 / 58 ، شرح جمل الزجاجي : 2 / 339 .

ويرى أبو القاسم الزجاجي " أَنَّ التتوين جُعِلَ عوضًا من نقصان البناء ، فسقطت الياء لسكونها ، وسكون التتوين بعدها " ¹ . وأمّا في حالة النصب فيرى الزجاجي جواز ظهور الفتحة لخفتها إذ يقول : " فإذا صرت إلى حالة النصب وفيته حظه من الإعراب لخفة الفتحة فمنعته من الصرف ، فقلت : رأيت جوارِي ، وغواشي ، وسواري ؛ لأنّه حين تم بناؤه رجع إلى أصله فلم ينصرف " ² .

ولا يخفى ما في آراء النحاة من تعقيد وتكلف ، وبما أَنَّ الفتحة حركة خفيفة كما يقول النحاة ، فلماذا لم تظهر الفتحة على (جوار ، وغواش) في حالة الجر ؟ ولماذا لا تكون علامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة ؛ لأنّه ممنوع من الصرف ؟ ولماذا حُذفت الياء في حالة الجر ؟ ولماذا لا نقول : مررت بجواري ؟ ألا يدلّ ذلك على جواز صرف جوار ، وأنّ الياء حُذفت للتخلص من التقاء الساكنين وهما الياء ، و التتوين ، وهو تنوين الصرف ، ثم عوض عن الياء تنوين العوض .

والذي يظهر للباحث أَنَّ قول النحاة : إنّ (جوارِي ، وغواشي) حُذفت الضمة في حالة الرفع ؛ لأنّها ثقيلة على الياء فتصير (جوارِي) ، ثم تحذف الياء تخفيفاً ، ويُعوض عنها بالتتوين . فهذا كلام فيه تكلف ؛ لأنّ الضمة في مثل هذه الكلمات المعتلة الآخر لا تظهر على حرف العلة وتعرب هذه الكلمات ، وتكون حركاتها الإعرابية مقدرة منع من ظهور الثقل إنّ كانت لام الكلمة الياء أو الواو ، ومنع من ظهورها التعذر إنّ كانت لام الكلمة الألف . وقد أشار الأخفش إلى أَنَّ تنوين (غواش) وما كان على بابها تنوين صرف ؛ " لأنّ الياء لما

¹ - الإيضاح في علل النحو : 98 .

² - المرجع نفسه : 99 .

حُذِفَتْ تخفيفاً زالت صيغة مفاعل ، وبقي اللفظ كجناح فانصرف ¹ .ويؤيد هذا القول تاج الدين الاسفراييني ² إذ يقول : " وأما جوار وأمثاله مما اعتل آخره فقد صُرف مجروراً أو مرفوعاً ³ ، ويبين علة صرفه إذ يقول : " وإذا حذفت الياء في نحو : (جواري وغواشي) نقص الاسم عن مثال أقصى الجموع ، وأشبهه في الوزن (فعَالٍ) فتصرفه فيدخل عليه التنوين ⁴ .

ويرى الباحث أن (جواري ، وغواشي) ، وما جاء على شاكلتها ، مصروف ؛ لأنَّ التنوين عندما دخل على الياء ، التقى ساكنان : الياء الساكنة وهي لام الكلمة ، والتنوين وهو نون ساكنة ، فأصبحت الكلمة (جوارين) ، فحصل إعلال بالحذف ، فحُذِفَت الياء للتخلص من التقاء الساكنين فزال التنوين وهو حركة إعرابية ، والحركة الإعرابية لا تظهر إلا على لام الكلمة ، فلما حُذِفَت لام الكلمة زال التنوين ، وعوّض عن الياء المحذوفة للتخلص من التقاء الساكنين بتنوين العوض .

صرف الاسم المنتهي بألف التانيث

ومن الشواهد النحوية التي صرفت الممنوع من الصرف قوله تعالى : " ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتَرَّا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ⁵ .

¹ - شرح الأشموني : 2 / 520 .

² - تاج الدين محمد بن محمد بن أحمد سيف الدين الاسفراييني من علماء القرن السابع الهجري ، له مصنفات منها : لب اللباب في علم الإعراب ، رسالة في الجملة الخيرية ، اللباب في النحو ، فاتحة الإعراب في إعراب الفاتحة ، توفي سنة 684 هـ . نقلاً عن مقدمة محقق كتاب " فاتحة الإعراب في إعراب الفاتحة " .

³ - فاتحة الإعراب في إعراب الفاتحة : 88 .

⁴ - المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

⁵ - سورة المؤمنون : 23 : 44 .

موطن الشاهد : تترًا .

وجه الاستشهاد : مجيء الاسم المنتهي بالـف التانيث المقصورة مصروفًا في قراءة أبي جعفر

وابن كثير ، وأبي عمرو¹ ، من غير علة أوجبت صرفه .

وقد ذهب الزجاج إلى أنَّ في (تترى) لغتين " فبعض العرب لا ينونها ، وبعضهم

ينونها "² ، وقد اختلف القراء في قراءتها فقرأت تارة منونة ، وتارة أخرى بلا تنوين " فقرأ

ابن كثير ، وأبو عمرو ، وأبو جعفر (تترًا) منونة ، والوقف بالـالف لمن نون . وقرأ نافع

وعاصم وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي (تترًا) بلا تنوين . والوقف في قراءة عاصم

ونافع ، وابن عامر بالـالف ، وفي قراءة حمزة ، والكسائي بالياء "³ .

قال أبو جعفر : " من قرأ تترى بلا تنوين ، وجعلها (فعلى) مثل سكرى ، ومن نون

جعل الـالف للنصب كما تقول : رأيت زيدًا يا هذا ، والتاء في القراءتين جميعًا مبدلة من واو

كما يقال : تالله ، ووالله ، وهو من وترت واشتقاقه من الوتر والوتر "⁴ .

أمَّا سيبويه فذكر أنَّ للعرب لغتين في (فعلى ، فعلى) تارة تصرف فعلى ، وتارة

أخرى تمنعها من الصرف إذ يقول : " فأمَّا ذفرى فقد اختلفت فيها العرب ، فيقولون : هذه

¹ - كتاب السبعة في القراءات : 446 .

² - ما ينصرف وما لا ينصرف : 28 .

³ - معاني القرآن للفراء : 2 / 236 ، معاني القرآن وإعرابه : 4 / 14 ، كتاب السبعة : 446
الحجة في القراءات السبع : 157 ، المستتير في القراءات العشر : 2 / 314 ، إعراب القرآن وعلل القراءات
: 2 / 147 ، التبيان في إعراب القرآن : 2 / 236 ، شرح الفاسي : 3 / 207 ، النشر في القراءات العشر
: 2 / 246 ، المذهب في القراءات العشر : 2 / 61 ، كتاب التذكرة في القراءات الثلاثة المتواترة : 2 / 559
، انظر ، الوافي في شرح الشاطبية : 267 ، البدور الزاهرة : 223 .

⁴ - إعراب القرآن للنحاس : 636 . ما ينصرف وما لا ينصرف : 17 .

ذفرى أسيلة ، ويقول بعضهم : هذه ذفرى أسيلة ، وهي أقلهما ، جعلوها تلحق بنات الثلاثة
ببنات الأربعة ، كما أنَّ واو جدولِ بتلكِ المنزلة ، وكذلك : تترى فيها لغتان ¹ .

ويظهر للباحث - من خلال ما سبق - أنَّ ما جاء على وزن (فَعْلَى ، فَعْلَى) فيه
لغتان : لغة تمنعه من الصرف ، ولغة أخرى تصرفه ، مستندًا إلى ما ورد في القراءات
القرآنية المتواترة من صرف (تترا) وهي قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو ، وأبي جعفر
ويؤيد ذلك ما قرره سيبويه بقوله : " وكذلك تترى فيها لغتان " ² .

ومن شواهد صرف الممنوع من الصرف تتوين (فرادى) في قراءة أبي حيو
وعيسى بن عمر في قوله تعالى : " وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ " ³ .
موطن الشاهد : فرادى .

وجه الاستشهاد : صرف الاسم (فرادى) وحقه المنع من الصرف وفقًا لقاعدة الممنوع
من الصرف ؛ لأنه اسم مختوم بألف التانيث .

قال أبو جعفر : " قرأ أبو حيو ، وعيسى بن عمر فرادًا بالتتوين . قال هارون : لغة
تميم فرادًا بالتتوين وهؤلاء يقولون : في موضع الرفع فراد ، وحكى أحمد بن يحيى ⁴ فراد

¹ - الكتاب : 3 / 211 .

² - المرجع السابق : 3 / 211 .

³ - سورة الأنعام : 94 .

⁴ - أحمد بن يحيى ثعلب عالم لغوي ونحوي ، له مصنفات في النحو واللغة ، منها : كتابه (الفصيح)
و (كتاب فعلت وأفعلت) ، والكتاب المعروف بـ (المصون في النحو) ، وكتاب (اختلاف النحويين)
وله علم كثير ، ورواية واسعة ، وأمال جيدة ، توفي سنة 291 هـ . الأعلام : 1 / 267 .

بلا تتوين مثل ثلاث ورباع¹ . وقد وردت قراءات أربع في فرادى " المشهورة فرادى وثلاث في الشاذ: فراداً كرُجال، فراداً كأحاد، وفرَدَى كسكرى² .

ويبدو للباحث أنَّ في فرادى لغتين : إحداهما : المنع من الصرف ، والأخرى جواز الصرف ، فأما مَنْ منع فرادى من الصرف فنظر إلى أنَّ " الألف للتأنيث مثل كسالى³ أو أنَّ تكون الكلمة " معدولة مثل ثلاث ورباع⁴ ، وَمَنْ أجاز صرفها فلأنَّها لغة فصيحة ونسبها إلى تميم ، ويقال في فرادى : (فرَاد) على زِنَة (فعال) ، فينصرف ، وهي لغة تميم ، وبها قرأ عيسى بن عمر ، وأبو حيوة⁵ .

صرف العلم المؤنث

من الشواهد القرآنية الدالة على صرف العلم المؤنث الواقع اسماً للقبيلة صرف (سبأ) في قوله تعالى : " فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ⁶ " فقد اختلف القراء في صرف (سبأ) ، ومنعها من الصرف . قال الإمام الشاطبي :

مَعَا سَبَأٍ افْتَحَ دُونُ نُونٍ حِمَى هُدَى وَسَكَنَهُ وَأَنَوِ الْوَقْفَ زُهْرًا وَمَنْدَلًا⁷

¹ - إعراب القرآن للنحاس : 276 ، البيان في إعراب القرآن : 1 / 332 .

² - الدر المصون : 3 / 125 ، انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العزيز : 3 / 164 مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع : 44 .

³ - معاني القرآن للفراء : 1 / 345 ، البيان في غريب إعراب القرآن : 1 / 389 ، اللباب في علوم الكتاب : 8 / 292 .

⁴ - معاني القرآن للفراء : 1 / 345 ، البيان في غريب إعراب القرآن : 1 / 389 ، اللباب في علوم الكتاب : 8 / 292 .

⁵ - انظر : مشكل إعراب القرآن : 168 ، اللباب في علوم الكتاب : 8 / 293 ، الدر المصون : 3 / 125 .

⁶ - سورة النمل : 27 : 22 . وفي قوله تعالى : " لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جِئَتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ " سورة سبأ : 34 : 15 .

⁷ - شرح الفاسي على الشاطبية : 3 / 242 .

فَمِنْ الْقَرَاءِ مَنْ قَرَأَ بِالتَّنْوِينِ وَمِنْهُمْ مَنْ قَرَأَ بِغَيْرِ التَّنْوِينِ " فقرأ البزي¹ ، وأبو عمرو بفتح الهمزة من غير تنوين ، وقنبل بإسكانها والباقون بكسرها منونة ، بالصرف والتنوين على أنه اسم للحي ، وبلا تنوين على أنه اسم للقبيلة² . ويؤكد ذلك ما يقرره سيبويه بقوله " فَأَمَّا ثَمُودُ وَسَبَأُ فَهَمَا مَرَّةً لِلْقَبِيلَتَيْنِ وَمَرَّةً لِلْحَيِّينِ وَكَثَرْتَهُمَا سِوَاءٌ " ³ .

ومن الشواهد صرف (ثمود) ، فقد وردت (ثمود) مصروفة في أربعة مواضع في القرآن الكريم ، وهي قراءات متواترة قرأ بها الأئمة من القراء كابن كثير المكي ، ونافع المدني ، وأبي عمرو البصري ، وابن عامر الشامي⁴ .

فَأَمَّا الْمَوْضِعُ الْأَوَّلُ فَقَدْ وَرَدَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : " كَأَنَّ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لَثَمُودٍ " ⁵ . وورد الموضع الثاني في قوله تعالى : " وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا " ⁶ . وجاء الموضع الثالث في قوله تعالى : " وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ

¹ - البزي أحمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة ، مؤذن المسجد الحرام وإمامه ومقرئه ، وكنيته أبو الحسن قرأ على عكرمة بن سليمان المكي ، وقرأ عكرمة على شبل بن عباد وعلى إسماعيل بن عبد الله القسط وقرأ هذان على ابن كثير . شرح الفاسي على الشاطبية : 1 / 97 .

² - معاني القرآن للفرء : 2 / 290 ، معاني القرآن وإعرابه : 4 / 114 ، إعراب القرآن للنحاس : 788 إعراب القراءات السبع وعللها : 2 / 147 ، الحجة في القراءات السبع : 169 ، الحجة للقراء السبعة للفرسي : 3 / 333 ، إعراب القرآن وعلل القراءات : 2 / 189 ، التبصرة في القراءات السبع : 620 المذهب في القراءات العشر : 2 / 99 ، البدور الزاهرة : 265 .

³ - الكتاب : 3 / 252 .

⁴ - كتاب السبعة لابن مجاهد 337 .

⁵ - سورة هود : 11: 68 . وضبط الآية في المصحف وفق رواية حفص عن عاصم " كَأَنَّ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لَثَمُودٍ " .

⁶ - سورة الفرقان : 25: 38 . وضبط الآية في المصحف وفق رواية حفص عن عاصم " وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا " .

تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ¹ .
أَمَّا الموضع الرابع ففي قوله تعالى : " وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَى "² .

وقد ذكر علماء القراءات في (تمود) قراءتين : قراءة تمنعها من الصرف للعلمية والتأنيث ، وقراءة تجيز صرفها " فقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر بالتثوين في أربعة مواضع ، وقرأ حفص و يعقوب وحمزة بغير تثوين الدال والباقون بتثوينها ، وكل من نون وقف بإبدال التثوين ألفاً ، ومن لم ينون وقف على الدال ساكنة ، وقرأ الكسائي (ألا بعداً لثمود) بخفض الدال مع التثوين والباقون بفتحها من غير تثوين³ .

قال الإمام الشاطبي :

تَمُودَ مَعَ الْفُرْقَانِ وَالْعَنْكَبُوتِ لَمْ يُنَوِّنْ عَلَى فَصْلٍ وَفِي النَّجْمِ فَصْلًا
نَمَا لِتَمُودٍ نَوْنًا وَاخْفَضُوا رِضًا وَيَعْقُوبُ نَصَبُ الرَّفْعِ عَنْ فَاضِلٍ كَلًّا⁴

وقد علل الشاطبي هذه القراءات بقوله : " والوجه في قراءتي (تمود) في المواضع الخمسة أَنَّ العرب لهم في (تمود) مذهبان : منهم مَنْ يصرفه ذاهباً به إلى الأب الأكبر أو الحي ومنهم مَنْ لا يصرفه ذاهباً به إلى القبيلة ، فالقراءتان على اللغتين⁵ ، ويؤكد ذلك ما

¹ - سورة العنكبوت : 29 : 38 . وضبط الآية في المصحف وفق رواية حفص عن عاصم " وَعَادًا وَتَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ " .

² - سورة النجم : 53 : 51 . وضبط الآية وفق رواية حفص عن عاصم " وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَى " .

³ - معاني القرآن للقرءاء : 2 / 20 ، معاني القرآن للأخفش : 2 / 355 ، كتاب السبعة : 337 الحجة في القراءات السبعة : 107 ، إعراب القراءات السبع لابن خالويه : 1 / 289 ، المستتير في القراءات العشر : 2 / 204 ، التبيان في إعراب القرآن : 2 / 35 ، شرح الفاسي على الشاطبية : 3 / 18 النشر في القراءات العشر : 2 / 217 ، التبصرة في القراءات السبع : 450 ، البدور الزاهرة : 159 الوافي في شرح الشاطبية : 239 . المهذب في القراءات العشر : 1 / 222

⁴ - شرح الفاسي على الشاطبية : 3 / 17 .

⁵ - المرجع السابق : 3 / 17 .

قرره الزجاج بقوله : " وأما ثمود فمرة اسماً للقبيلة ، ومرة اسماً للحي ففي القرآن الصرف وغير الصرف ¹ .

ومن شواهد صرف (ثمود) قوله تعالى : " وَإِلَى ثَمُودٍ أَخَاهُمْ صَالِحًا " ² .

وردت قراءتان في (ثمود) : قراءة منعت (ثمود) من الصرف ، وهي قراءة متواترة سبعة . والقراءة الثانية صرفت (ثمود) في جميع القرآن ، وهي قراءة الأعمش ويحيى وابن وثاب ، وهذه القراءة ليست متواترة ³ .

وعلل النحاة قراءة مَنْ صرف (ثمود) بأنه علم مذكر دال على اسم الحي أو اسم الأب الكبير للقبيلة ؛ فلهذا انصرف في جميع القرآن ، وخرجوا قراءة مَنْ قرأ (ثمود) ممنوعاً من الصرف ؛ لأنه علم مؤنث دال على اسم القبيلة ، فاجتمعت فيه علتان لمنعه من الصرف : العلمية والتأنيث ⁴ .

ويظهر للباحث أنَّ (ثمود) اسم عربي مشتق من الجذر الثلاثي (ث ، م ، د) ووزنه فعول ، " التَّمْدُ والتَّمْدُ الماء القليل الذي لا مادَّ له ، وقيل : هو القليل يبقى في الجلد وقيل : هو الذي يظهر في الشتاء ، ويذهب في الصيف ، والتَّمْدُ موضعٌ ، ومكانٌ غليظٌ يحفرُونَ فيه ركائياً وقدامها حبسٌ لا يُجاوزُه الماءُ " ⁵ . قال المبرد : " فإن ثمود اسم عربي وإنما

¹ - ما ينصرف وما لا ينصرف : 59 .

² - سورة الأعراف : 7 : 73 . وضبطت (ثمود) في المصحف وفق رواية حفص عن عاصم بالمنع من الصرف " وَإِلَى ثَمُودٍ أَخَاهُمْ صَالِحًا " .

³ - انظر : البدور الزاهرة : 398 .

⁴ - انظر : ما ينصرف وما لا ينصرف : 59 .

⁵ - لسان العرب ، المحيط في اللغة ، وتاج العروس : مادة (ثمد) .

هو فعول من الثمد ، فمن جعله اسماً لأب أوحى صرفه، ومن جعله اسماً لقبيلة أو جماعة لم يصرفه ¹.

ومن شواهد صرف العلم المؤنث الدال على اسم القبيلة (عاد) فقد ورد مصروفاً في ثلاثة مواضع ، الموضع الأول في قوله تعالى : " كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ " ² . والموضع الثاني في قوله تعالى : " كَذَبَتْ عَادُ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ " ³ . والموضع الثالث في قوله تعالى : " وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى " ⁴ .

ومما يدل على أَنَّ (عاد) اسم مؤنث دال على اسم القبيلة في هذه الآية وَصْفُ (عاد) بكلمة (الأولى) ، وهي صفة مؤنثة ، ومن المقرر في علم النحو أَنَّ الصفة تطابق الموصوف في التذكير والتأنيث ، والإفراد والتثنية والجمع ، والتعريف والتذكير ، والحركة الإعرابية . فلو كان العلم (عاد) علماً مذكراً دالاً على اسم الحي أو الأب الكبير للقبيلة لكانت الآية (عادًا الأول) .

ومن شواهد صرف (عاد) قوله تعالى : " أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ " ⁵ .

وقد ذكر ابن خالويه ثلاث قراءات في هذه الآية " قرأ الحسن (بعادٍ إرم) ولم يصرف (عاد) ؛ لأنه جعله أعجمياً . وقرأ بعضهم (بعادٍ إرم) مضافاً ، وجعل (إرم) قبيلةً وقرأ الضحَّاك (بعادٍ أرم ذاتِ العمارِ) أي رمَّهم بالعذاب رماً " ⁶ .

¹ - المقتضب : 3 / 354 .

² - سورة الشعراء : 26 : 123 .

³ - سورة القمر : 54 : 18 .

⁴ - سورة النجم : 53 : 50 .

⁵ - سورة الفجر : 89 : 6 .

⁶ - إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : 76 . البدور الزاهرة : 428 .

وممّا يدل على أنّ (عاد) اسم مؤنث دال على اسم القبيلة في هذه الشواهد اتصال تاء التأنيث الساكنة بالفعل ، فمن المعلوم أنّ تاء التأنيث الساكنة لا تتصل بآخر الفعل الماضي إلا إذا كان الفاعل مؤنثاً . وقد جاء العلم المؤنث الدال على اسم القبيلة مصروفاً ومخالفاً لما قرره النحاة في قواعدهم ؛ فقد قرروا أنّ (عاد) تمنع من الصرف ، إنّ دلّت على اسم القبيلة.

ويترأى للباحث أنّ العلم المؤنث الدال على القبيلة فيه لغتان : الأولى تمنعه من الصرف ، والثانية تجيز صرفه ، ويؤيد هذا الرأي ما ورد في القراءات المتواترة التي صرفت العلم المؤنث الدال على اسم القبيلة نحو : ثمود ، وعاد . واختلاف النحاة في توجيه هذه القراءات فهم يرون أنّ من صرف فلأنه اسم للأب أو للحي ، ومن منع فلأنه اسم للقبيلة ويتضح ذلك من خلال ما يقرره سيبويه ، إذ يقول : " فأما ثمود وسبأ فهما مرةً للقبيلتين ومرةً للحيين وكثرتهما سواءً " ¹ .

والذي يميل إليه الباحث أنّ صرف العلم المؤنث الدال على اسم القبيلة يمثل لغة فصيحة من لغات العرب ، ويؤكد ذلك ما ذكره النحاة إذ يقولون : " وزعم قوم أنّ صرف ما لا ينصرف مطلقاً لغة " ² . وقد حكى هذه اللغة الأخفش ، والكسائي ³ .

ويستند الباحث إلى القراءات المتواترة ، فقد ورد العلم المؤنث دالاً على اسم القبيلة مصروفاً في الآيات السابقة ، وممّا يدل على تأنيثه اتصال الفعل بتاء التأنيث الساكنة التي تلحق الفعل عندما يكون الفاعل مؤنثاً ، نحو قوله تعالى : " كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ " ⁴ .

¹ - الكتاب : 3 / 252 .

² - حاشية الصبان على شرح الأشموني : 3 / 275 ، شرح الرضي على كافي ابن الحاجب : 1 / 106 .

³ - انظر : حاشية الصبان على شرح الأشموني : 3 / 275 شرح الرضي على الكافية : 1 / 106 .

⁴ - سورة الشعراء : 26 : 123 .

كما أنَّ الصفة تطابق الموصوف ، فإنَّ كان الموصوف مؤنثاً جاءت الصفة مؤنثة وهذا واضح في قوله تعالى : " وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى " ¹ . ويبدو للباحث أنَّ (عاد ، وثمود) صُرِفَت وهي أعلام مؤنثة دالة على اسم القبيلة خلافاً لما قرره النحاة في قواعدهم بأنَّ العلم إنَّ دلَّ على اسم قبيلة مُنِع من الصرف ؛ للعلمية والتأنيث ² .

ومن شواهد صرف الممنوع من الصرف قراءة الجمهور (مصرًا) بالنتوين في قوله تعالى : " اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ " ³ .
موطن الشاهد : مصرًا .

وجه الدلالة : مجيء (مصرًا) علم مؤنث لاسم البلد مصروفًا . وحقه المنع للعلمية والتأنيث . وقد اختلف النحويون في تعليل مجيء العلم المؤنث في هذه الآية مصروفًا فمنهم مَنْ أجاز صرفه ؛ لأنَّه علم ثلاثي ساكن الوسط ، فيقول سيبويه : " إذا كان اسم الأرض على ثلاثة أحرف خفيفة وكان مؤنثًا ، أو كان الغالب عليه المؤنث كعُمان ، فهو بمنزلة قِدر وشمس ، ودعد ⁴ . وقد أجاز سيبويه في (قِدر ، وشمس ، ودعد) وجهين : الصرف والمنع إذ يقول : " وإنَّ شئتَ صرفته ، وإنَّ شئتَ لم تصرفه ، وترك الصرف أجود " ⁵ .

ومنهم مَنْ منع (مصر) من الصرف ؛ لأنَّ سكون وسطه عنده لا يغيّر حكمًا أوجبه اجتماع علتين مانعتين ، وهو مذهب الزجاج ، إذ يقول : " وترك الصرف مذهبي " ⁶ ، ولكنَّ الزجاج قد ذكر في موطن آخر أنَّ مَنْ صرف (مصر) أراد به مصرًا من الأمصار ؛ لأنَّهم

¹ - سورة النجم : 53 : 50 .

² - انظر الكتاب : 3 / 252 وما بعدها .

³ - سورة البقرة : 2 : 61 .

⁴ - الكتاب : 3 / 242 .

⁵ - المرجع السابق : 3 / 243 .

⁶ - ما ينصرف وما لا ينصرف : 52 .

كانوا في تيه ، ويجوز أن يكون أراد مصر بعينها ، فجعل مصر اسمًا للبلد ، فصرف ؛ لأنه مذكر ¹ ، ومنهم مَنْ منع (مصر) من الصرف إن كانت علمًا لبلد فلا يجيز صرفها ألبة وهو مذهب الفراء ، إذ يقول : " وأسماء البلدان لا تتصرف خفت أو ثقلت " ² .

ويميل الباحث إلى القول : إنَّ (مصر) الواردة في قوله تعالى " اهبطوا مصرًا " ³ هي البلدة المعروفة بلد النبيين موسى ويوسف عليهما السلام ، ويعتمد الباحث في ترجيح هذا الرأي على ما رواه الإمام القرطبي من حديث الأشهب " قال : لي مالك : هي عندي مصر قرينك مسكن فرعون " ⁴ ، و ما رواه الطبراني عن الضحاك إذ يقول : " هي مصر موسى وفرعون " ⁵ . وعلى قول ابن جرير : " ويحتمل أن يكون المراد مصر فرعون على قراءة الإجراء " ⁶ . ويؤكد ذلك ما ذكر أبو السعود بقوله : " أريد به العلم ، وإنما صرفه لسكون وسطه أو تأويله بالبلد دون المدينة ، ويؤيد أنه في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه غير منون " ⁷ .

¹ - معاني القرآن وإعرابه : 1 / 144 .

² - معاني القرآن للفراء : 1 / 42 .

³ - سورة البقرة : 2 : 61 .

⁴ - تفسير القرطبي : 1 / 291 ، روح المعاني : 1 / 435 .

⁵ - التفسير الكبير للطبراني : 1 / 177 .

⁶ - تفسير ابن كثير : 1 / 146 .

⁷ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : 1 / 106 ، روح المعاني : 1 / 436 .

ومما يؤيد هذا الرأي اختلاف القراءات القرآنية فقد جاءت قراءات خالفت قراءة الجمهور ، فقرأ أبي بن كعب¹ ، وعبد الله بن مسعود² ، والحسن البصري³ ، وطلحة ابن مصرف⁴ ، والأعمش⁵ ، وإبان بن تغلب⁶ (مصر) في الآية السابقة بلا تنوين ؛ إذ إنه علم ممنوع من الصرف ؛ للعلمية والتأنيث⁷ .

¹ - أبي بن كعب بن قيس بن عبيد من بني النجار من الخزرج ، كان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود روى الأحاديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وفي الحديث أقرأ أمتي أبي بن كعب . مات بالمدينة سنة 21 هـ . الأعلام : 1 / 82 .

² - عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، صحابي جليل كان قريباً من النبي صلى الله عليه وسلم فهو من الأوائل المسلمين ، وهو أول من جهر بالقرآن الكريم بمكة ، توفي في المدينة المنورة سنة 60 هـ . الأعلام : 4 / 137 .

³ - الحسن بن يسار البصري تابعي ، كان أمام أهل البصرة وحبر الأمة ، وكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم لا يخاف في الحق لومة لائم . من مصنفاته كتاب في فضائل مكة مخطوط توفي بالبصرة سنة 110 هـ . الأعلام : 2 / 226 .

⁴ - طلحة بن مصرف بن كعب بن عمرو الكوفي ، أقرأ أهل الكوفة في عصره فكان يسمى سيد القراء وهو من أهل الحديث الثقات ، ومن أهل الورع والنسك ، شهد وقعة الجمام . توفي سنة 112 هـ . غاية النهاية : 1 / 330 .

⁵ - سليمان بن مهران الأعمش الأسدي الكاهلي ، أخذ القراءة عرضاً عن إبراهيم النخعي ، وزر بن حبيش وزيد بن وهب ، وعاصم بن أبي النجود ، مات سنة ثمان وأربعين ومئة . غاية النهاية : 1 / 316 .

⁶ - إبان بن تغلب بن رباح البكري الجريري بالولاء ، قارئ لغوي من أهل الكوفة ، ومن تصانيفه : غريب القرآن ، القراءات ، الفضائل ، ومعاني القرآن . توفي سنة 141 هـ . الأعلام : 1 / 26 .

⁷ - معاني القرآن للفراء : 1 / 43 ، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع : 14 ، الكشف : 1 / 174 ، مفاتيح الغيب : 2 / 107 وما بعدها ، الدر المنثور في التفسير المأثور : 1 / 178 ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : 1 / 106 ، روح المعاني : 1 / 436 ، فتح القدير : 1 / 92 ، التحرير والتنوير : 1 / 524 ، البدور الزاهرة : 384 .

ومن شواهد صرف الممنوع من الصرف صرف (ليكة)¹ في موضعين في كتاب الله - عز وجل - في قوله : " كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ " ² ، وقوله تعالى : " وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ الْأَحْزَابِ " ³ .
موطن الشاهد : لَيْكَةِ .

وجه الاستشهاد : مجيء العلم المؤنث مصروفاً من غير ضرورة أوجبت صرفه .
لقد ذكر علماء القراءات أن في (لَيْكَةِ) قراءتين : القراءة الأولى صرَفَتْهَا مع أَنَّهَا علم مؤنث ، وحققها المنع من الصرف للعلمية والتأنيث ، وبهذه القراءة ضُبِطَتْ كلمة (لَيْكَةِ) في المصحف وفق رواية حفص عن عاصم ، والقراءة الثانية مَنَعَتْهَا من الصرف للعلمية والتأنيث ، " فقرأ المدنيان ⁴ ، وابن كثير ، وابن عامر بلام مفتوحة من غير ألف وصل قبلها ولا همزة بعدها ، وبفتح تاء التأنيث في الوصل مثل حيوة ، وطلحة ، وكذلك رسماً في جميع المصاحف ، وقرأ الباقرن بألف وصل مع إسكان اللام ، وهمزة مفتوحة بعدها ، وخفض تاء التأنيث في الموضعين " ⁵ .

¹ - وردت كلمة (الأيكة) في أربعة مواضع في القرآن الكريم : موضعين وردت بلام ساكنة من غير ألف الوصل ، وهمزة بعد اللام ، وبخفض تاء التأنيث في الوصل ، وذلك في قوله تعالى : " كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ " سورة الشعراء : 26 : 176 ، وفي قوله تعالى : " وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ الْأَحْزَابِ " سورة ص : 38 : 13 .

ووردت كلمة (الأيكة) في موضعين بألف الوصل مع إسكان اللام وهمزة مفتوحة بعدها ، وخفض تاء التأنيث ، وذلك في قوله تعالى : " وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ " سورة الحجر : 15 : 78 . وقوله تعالى : " وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبُعْ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدٌ " سورة ق : 50 : 14 .

² - سورة الشعراء : 26 : 176 .

³ - سورة ص : 38 : 13 .

⁴ - المدنيان : أبو جعفر المدني ، ونافع المدني .

⁵ - الحجة للقراء السبعة : 5 / 367 ، حجة القراءات : 519 ، المستتير في القراءات العشر : 2 / 235 شرح الفاسي : 3 / 234 ، النشر في القراءات العشر : 2 / 252 ، التبصرة في القراءات السبع : 617 البذور الزاهرة : 236 .

وبين مكي بن أبي طالب أنَّ حجة مَنْ قرأ بمنع (لَيْكَة) من الصرف العلمية والتأنيث إذ يقول : " مَنْ فَتَح التاء جعله اسماً للبلدة ، فلم يصرفه للتعريف والتأنيث ووزنه فَعْلَة " ¹ وأنَّ مَنْ قرأ (لَيْكَة) بالصرف فلدخول لام التعريف عليها ، فيقول : " وَمَنْ خَفَضَ التاء جعله مُعَرِّفًا بالألف واللام فخفف لإضافة أصحاب إليه " ² .

ورفض بعض النحاة قراءة (لَيْكَة) ، ومنعها من الصرف ، وعدوها خارجة عن سنن العربية ؛ فلجئوا إلى تخريجها تخريجاً يتوافق مع آرائهم ، وممَّن خرَّجها أبو علي الفارسي فيرى " أنَّ تكون الكتابة في هذين الموضعين وقعت على الوصل ، فكما أنَّ لا ألف ثابتة في اللفظ في قوله سبحانه : (أصحاب الأيكة) ³ ، فكذلك لم تكتب في خط " ⁴ ويرى الفارسي أنَّ " ليكة على تحقيق الهمزة ، وأنَّ فَتَح (ليكة) لا يصح في العربية ؛ لأنَّه فَتَح حرف الإعراب في موضع الجر مع لام المعرفة " ⁵ .

وممَّن أنكر هذه القراءة ، ورفضها الزمخشري ، فيقول " وَمَنْ قرأ بالنصب ، وزعم أنَّ ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد إليه خط المصحف " ⁶ . وتبع الزمخشري أبو البقاء العُكْبَرِي فرفض القراءة وأنكرها ، إذ يقول : " وهذا لا يستقيم إذ ليس في الكلام ليكة حتى يُجعل علماً ، فإن ادَّعي قلب الهمزة لاماً فهو في غاية البعد " ⁷ .

¹ - مشكل إعراب القرآن : 334 .

² - المرجع السابق : 335 .

³ - سورة الشعراء : 26 : 176 .

⁴ - الحجة للقراء السبعة : 5 / 368 .

⁵ - المرجع السابق : 5 / 369 .

⁶ - الكشف : 3 / 337 .

⁷ - التبيان في إعراب القرآن : 2 / 273 .

وقد تصدَّى أبو حيان لمن أنكر قراءة (ليكة) ، وعد إنكارها قريباً من الردة
 ودَحَضَ آراءهم ، فيقول : " وهذه قراءة متواترة لا يمكن الطعن فيها ، ويقرب إنكارها
 من الردة والعياذ بالله ¹ ، ويرى أنَّ قلة استعمال (ليكة) في كلام العرب دليل على أنَّها
 أعجمية ، إذ يقول : " وأما كون هذه المادة مفقودة في لسان العرب فإنَّ صح ذلك كانت الكلمة
 أعجمية ، ومواد كلام العجم مخالفة في كثير مواد كلام العرب ، فيكون قد اجتمع على منع
 صرفها العلمية والعجمة والتأنيث ² .

ويميل ابن عاشور إلى أنَّ (ليكة) علم مؤنث دال على القبيلة ، وهي غير مَدِين
 فيقول : " والذي يشهد لذلك ويرجح أنَّ القرآن لما ذكرَ هذه القصةَ لأهل مدين وصف شعيباً
 بأنَّه أخوهم ، ولما ذكرها لأصحاب ليكة لم يصف شعيباً بأنَّه أخوهم إذ لم يكن شعيب نسيباً
 ولا صهرًا لأصحاب ليكة ، وهذا إيماء دقيق إلى هذه النكتة . ومما يرجح ذلك
 قوله تعالى (وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ (78) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ) ³ فجعل
 ضميرهم مثني باعتبار أنَّهم مجموع قبيلتين : مدين وأصحاب ليكة ⁴ .

وقد فرَّق أبو عبيد بين الأيكة ، وليكة ، فيقول : " ليكة اسم القرية التي كانوا فيها
 والأيكة اسم البلد كلها ، فالمانع لليكة من الصرف على هذا التعريف والتأنيث ⁵ .

¹ - البحر المحيط : 7 / 37 .

² - المرجع السابق : 7 / 38 .

³ - سورة الحجر : 15 : 78 ، 79 .

⁴ - التحرير والتنوير : 18 / 182 .

⁵ - شرح الفاسي : 3 / 235 .

وقد رجح الفاسي قول أبي عبيد ، فيقول : " والذي يجب أن يعتقد أن نافعاً ، وابن كثير وابن عامر لم ينقلوا ما قرؤوا به من المصاحف ولم يُصحَّفوا ، بل نقلوه عن أئمتهم نقلاً لا ارتياب فيه والوجه مع صحة نقلهم إياه ما ذكره أبو عبيد رحمه الله " ¹ .

ويؤيد هذا القول ما ذكره اللغويون إذ يقولون : " إنَّ ليكة اسم القرية ، والأصل الأيكة فألقيت الهمزة فقليل : اليكة ، ثم حذفت الألف ، فقليل : ليكة فممن قرأ ليكة فهي اسم القرية ، ويقال : هما مثل بكة ومكة ومن قرأ الأليكة قال : الأيك : الشجر الكثير " ² .

وبناء على هذا القول يكون مَنْ قرأ ليكة بالمنع من الصرف أراد القرية التي كانوا فيها ، وعلّة منعها من الصرف العلمية والتأنيث ، ومن صرفها فلأنّها معرفة دخلت عليها لام التعريف .

ويخلص الباحث إلى القول : إنَّ قراءة (ليكة) وصرفها مع أنّها علم مؤنث وحقه المنع من الصرف وفقاً لقاعدة الممنوع من الصرف لغة فصيحة من لغات العرب ، يشهد لذلك ما ذكره علماء القراءات ، فثمة قراءة منعت (ليكة) من الصرف للعلمية والتأنيث وهي قراءة متواترة لا يمكن إنكارها أو تجاهلها ، وهذا يدلُّ على أنّ العلم المؤنث فيه لغتان الصرف ، والمنع .

صرف العلم الأعجمي

ومن شواهد صرف الممنوع من الصرف (سلسبيلاً) كقوله تعالى : " عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا " ³ .

¹ - شرح الفاسي : 3 / 236 .

² - جمهرة اللغة ، تهذيب اللغة ، لسان العرب ، القاموس المحيط : مادة (أيك) تاج العروس : مادة (ل ي ك) .

³ - سورة الإنسان : 76 : 18 .

موطن الشاهد : سلسبيلاً .

وجه الدلالة : مجيء العلم (سلسبيلاً) مصروفًا ، وكان حقه المنع من الصرف للعلمية والتأنيث وفقًا لقاعدة الممنوع من الصرف .

وقد اختلف المفسرون في تفسير (سلسبيل) فذهب بعضهم إلى أنها صفة لعين في الجنة ، وسميت بهذا الاسم ؛ " لسلسلة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها " ¹ ، ومنهم مَنْ ذهب إلى أنَّ (سلسبيل) علم حقيقي لعين في الجنة ، ويؤكد ذلك ما قرره أبو حيان بقوله : " والظاهر أنَّ هذه العين تسمى سلسبيلاً " ² ، وما رواه الطبراني عن مقاتل إذ يقول : " السلسبيل عين من الخمر تتبع من تحت العرش من جنة عدن إلى أهل الجنة " ³ وقد نوّنت للمزاوجة ؛ ولأنّها رأس آية ⁴ . ومنهم مَنْ أجاز صرف (سلسبيلاً) ؛ لأنّه " علم أعجمي نكرة " ⁵ .

والذي يميل إليه الباحث هو أنَّ (سلسبيل) علم لعين في الجنة ، مستندًا إلى أقوال اللغويين والمفسرين ، فقد ذهبوا إلى أنَّ (سلسبيل) علم لعين في الجنة ، وقد زيدت الألف

¹ - تفسير الطبري: 14 / 266 ، معاني القرآن وإعرابه : 5 / 261 ، مفاتيح الغيب : 15 / 250
البحر المحيط : 8 / 398 ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : 9 / 74 ، التحرير والتنوير : 29 / 396.

² - البحر المحيط : 8 / 368 .

³ - التفسير الكبير للطبراني : 6 / 409 .

⁴ - انظر القاموس المحيط : مادة (سبل) .

⁵ - مشكل إعراب القرآن الكريم : 490 .

في الآية للمزاوجة¹ ، وذكر المفسرون أنَّ ثمة قراءة تمنع (سلسيل) من الصرف وعزوا هذه القراءة إلى علي بن أبي طالب² - رضي الله عنه - وطلحة بن مصرف³ .

ويؤكد ذلك ما ذكره ابن حجر العسقلاني أنَّ " ابن أبي حاتم روى عن عكرمة قال : السلسيل اسم العين المذكورة ، وهو ظاهر الآية ، ولكن استبعد لوقوع الصرف فيه⁴ " وذهب إلى هذا القول الإمام النووي إذ يقول : " قال جماعة من أهل اللغة والمفسرين السلسيل اسم للعين⁵ " .

ومن شواهد صرف الممنوع من الصرف قول الله - عز وجل - على لسان قوم سيدنا نوح - عليه السلام - : " وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثًا وَيَعُوقًا وَنَسْرًا⁶ " .

فقد جاء العلم الأعجمي (يغوثًا ، ويعوقًا) مصروفًا ، وهي قراءة الأعمش والأشهب العقيلي ، والمطوعي ، وحقه أنَّ يكون ممنوعًا من الصرف للعلمية والعجمة ، وقد وجه النحاة هذه القراءة بأنها جاءت على مذهب مَنْ يصرف الممنوع من الصرف ، وهي لغة فاشية ، وقالوا : إنَّ كانا عربيين فالمنع للتعريف ووزن الفعل ، وإنَّ كانا أعجميين فالمنع

¹ - انظر العين : باب الخماسي من السين ، والنهاية في غريب الحديث والأثر : باب السين مع اللام ولسان العرب : مادة (سلسل) ، والقاموس المحيط : مادة (سبل) ، وتاج العروس : مادة (سلسيل) .

² - علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ، أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، من أكبر الخطباء والعلماء ، وهو أول الناس إسلامًا بعد خديجة رضي الله عنهم أجمعين . الأعلام : 4 / 295 .

³ - انظر : مختصر في شواذ القرآن : 166 ، الكشف : 4 / 672 ، مفاتيح الغيب : 15 / 250 ، البحر المحيط : 8 / 398 ، روح المعاني : 16 / 276 ، التحرير والتنوير : 29 / 396 .

⁴ - فتح الباري في شرح البخاري : 7 / 3837 .

⁵ - شرح النووي على مسلم : 3 / 115 .

⁶ - سورة نوح : 71 : 23 .

للعُجْمَة والتعريف ، وهذه القراءة قراءة الأعمش بن مهران والأشهب العقيلي¹ والمطوعي² وقد صرّفت هذه القراءات الاسم الأعجمي³ .

ويميل الباحث إلى القول : إنّ للعرب في الاسم الأعجمي وجهين : الصرف والمنع وكلا الوجهين جائز ، وإن كان الأقيس والأقوى والأشيع منع العلم الأعجمي من الصرف .

ومن شواهد صرف الممنوع من الصرف في القرآن الكريم صرف (إستبرق) في قوله تعالى : " عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا "4

موطن الشاهد : إستبرق .

وجه الاستشهاد : صرف إستبرق ، ووفقاً لقاعدة الممنوع من الصرف فإنّ الكلمة تُمنع من الصرف ؛ للعلمية والعجمة .

و قراءة الصرف هي القراءة المشهورة ، وبها ضُبِطَت الكلمة في المصحف إلا أنّ القراء اختلفوا في قراءتها ، فقرأها بعض القراء بالرفع ، وقرأها آخرون بالجر . " فقرأ ابن كثير ونافع وعاصم بالرفع ، وقرأ الباقر بالخفض "5 .

¹ - مسكين بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم ، روى القراءة سماعاً عن نافع بن أبي نعيم . غاية النهاية : 2 / 296 .

² - المطوعي هو أبو العباس الحسن بن سعيد بن جعفر بن الفضل بن شاذان العباداني البصري مؤلف كتاب معرفة اللامات وتفسيرها إمام عارف ثقة في القراءة أثنى عليه الحافظ أبو العلاء الهمداني ووثقه توفي سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة وقد جاوز المئة . غاية النهاية في طبقات القراء : 1 / 213 .

³ - انظر الكشف : 4 / 622 ، إعراب القرآن للنحاس : 3 / 517 ، معاني القرآن للفراء : 3 / 189 روح المعاني : 29 / 134 ، مختصر في شواذ القرآن : 160 ، أوضح المسالك : 4 / 124 .

⁴ - سورة الإنسان : 76 : 21 .

⁵ - النشر في القراءات العشر : 2 / 296 .

وثمة قراءة منعت (إستبرق) من الصرف ، ونُسيت هذه القراءة إلى ابن محيـصـن والحسن البصري¹ ، وذكر ابن خالويه أنَّ يعقوب الحضرمي² ، ويحيى بن يعمر³ قرأاً (خضر واستبرق) بوصل الألف وفتح القاف⁴ ، وقد وقف النحاة من هذه القراءة مواقف متباينة فذهب فريق إلى إنكارها ، وتخطئتها ، بينما قبلها فريق آخر ووجهها توجيهًا يتناسب ووجوه العربية .

فمن العلماء الذين رفضوا هذه القراءة وأنكروها الزمخشري ، وأبو علي الفارسي والطبري ، ويرى الزمخشري أنَّ منع (إستبرق) من الصرف ؛ " لأنَّه أعجمي غلط ؛ لأنَّه نكرة يدخله حرف التعريف إلَّا أنَّ يزعم ابن محيـصـن أنَّه قد يُجعل علمًا لهذا الضرب من الثياب ، وقُرئ (واستبرق) بوصل الهمزة والفتح على أنَّه مسمًى باستفعل من البريق وليس بصحيح أيضًا ؛ لأنَّه معرَّب مشهور بعربيته⁵ .

¹ - تفسير الطبري : 14 / 269 ، ما ينصرف وما لا ينصرف : 19 ، مختصر في شواذ القرآن : 166 الكشف : 4 / 674 ، مفاتيح الغيب : 5 / 253 ، البحر المحيط : 8 / 400 ، روح المعاني : 16 / 278 التحرير والتنوير : 29 / 399 ، البدور الزاهرة : 427 .

² - يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي ، كان أعلم الناس في زمانه بالقراءات والعربية ، وكلام العرب ، والرواية ، والفقه فاضلاً تقيّاً ورعاً زاهداً ، وله قراءة مشهورة به وهي إحدى القراءات العشر . مات في ذي الحجة سنة خمس ومئتين . بغية الوعاة : 2 / 336 .

³ - يحيى بن يعمر العدواني أبو سليمان ، أول من نقط المصاحف ولد بالأهواز . وسكن البصرة . وكان من علماء التابعين ، عارفاً بالحديث والفقه ولغات العرب ، وهو من كتّاب الرسائل الديوانية ، أدرك بعض الصحابة . واخذ اللغة عن أبيه ، والنحو عن أبي الأسود الدؤلي . وكان فصيحاً ينطق بالعربية المحضة وتوفي بالبصرة سنة 129 هـ . الأعلام : 8 / 177 .

⁴ - انظر كتاب الألفات : 71 .

⁵ - الكشف : 4 / 674 .

ورفض الإمام الطبري قراءة ابن محيصن وعدّها قراءة خارجة عن سنن العربية ووصفها " بأنّها بعيدة من معروف كلام العرب ؛ وذلك أنّ الإستبرق نكرة ، والعرب تجري الأسماء النكرة ، وإن كانت أعجمية " ¹ .

ونفى أبو علي الفارسي هذه القراءة وتوجيهات النحاة لها فيرى أنّ الإستبرق لا يكون في معنى برق ، إذ يقول : " إنّنا لا نعلم إستبرق في معنى برق ، وإنّما وافق اللفظ اللفظ في التعريف ، فوافق لفظه استفعل " ² ، ويذهب أبو علي الفارسي إلى أنّ " إستبرق اسم جنس لا ينبغي أن يحمل الضمير الذي يحتمله استخرج ، ويدلّ على ذلك دخول لا المعرفة عليه والجار في قوله تعالى : (بطائنها من إستبرق) ، فإذا كان كذلك ففتح لا يجوز " ³ .

ويعدّ أبو علي الفارسي منع (إستبرق) من الصرف لا يتفق وسنن العربية ؛ لأنّه يرى أنّ (إستبرق) اسم أعجمي بمنزلة الديباج والفرند والإبريسم ، ونحو ذلك من الأسماء المنقولة نكرة ، وليست من باب إسماعيل ، وإبراهيم ، وإذا كان من هذا الضرب لم يكن فيه إلا الصرف إلا أنّ يُسمّى به شيء فينضم إلى مثال الفعل التعريف ، وإذا لم يكن كذلك فترك الصرف منه لا يستقيم " ⁴ .

ومن النحاة الذين قبلوا هذه القراءة ودافعوا عنها أبو حيان ، والألويسي ، والزجاج ومكي بن أبي طالب ، وابن الحاجب . فقد دافع أبو حيان عن هذه القراءة ووجهها توجيهًا يُوافق سنن العربية ، فذكر أنّ ابن محيصن قرأ (واستبرق) " بوصل الهمزة في جميع القرآن

¹ - تفسير الطبري : 14 / 270 .

² - الحجة للقراء السبعة : 6 / 360 .

³ - المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

⁴ - المرجع السابق : 6 / 361 .

فيجوز أنه حذف الهمزة تخفيفاً على غير قياس¹ ، ويرى أبو حيان أن ابن محيصة صرف (إستبرق) ؛ لأنه " جعله عربياً من برق يبرق بريقاً ؛ وذلك إذا تلاً الثوب ؛ لجذته ونضارته ، فيكون وزنه استفعل من ذلك ، فلماً تسمى به عامله معاملة الفعل في وصل الهمزة ومعاملة المتمكنة من الأسماء في الصرف والتتوين² .

وبناء على ما سبق يكون (إستبرق) اسماً أعجمياً فيقول ابن الحاجب : " فأصله أعجمي فعُرب ، فلما عُرِب حُمِل على ما يناسبه في الأبنية العربية ، ولا يناسب من أبنية الاسم شيئاً ، بل يناسب نحو استخرج من أبنية الأسماء باجتماع الألف والسين والتاء في الأول ، فحكمنا بزيادة الأحرف الثلاثة حملاً له على نظيره³ ، وألفه ألف قطع ، وقد منع من الصرف ؛ لأنه نكرة ، وقطعت ألفه " لأنك نقلت الأفعال إلى الأسماء ، وأصل ألقاب الوصل للأفعال ، فلماً أخرجتها إلى الأسماء أخرجتها إلى باب غير ألفات الوصل⁴ ومن العلماء من ذهب إلى أن منع (إستبرق) من الصرف ليست العجمة ، بل مُنِع من الصرف " للعلمية ووزن الفعل دون العجمة⁵ .

ويخلص الباحث إلى القول : إنَّ (إستبرق) علم أعجمي ، وهو علم للثياب الغليظة ومما يقوي هذا الرأي قول اللغويين : إنَّ الإستبرق " ما غلظ من الحرير والإبريسم وهي لفظة أعجمية معربة ، وأنَّ الهمزة والسين والتاء من الزوائد⁶ .

¹ - البحر المحيط : 8 / 400 .

² - المرجع السابق : 8 / 401 .

³ - شرح الشافية : 1 / 264 .

⁴ - ما ينصرف وما لا ينصرف : 19 ، مشكل إعراب القرآن : 492 ، شرح الشافية : 1 / 264 .

⁵ - روح المعاني : 16 / 278 .

⁶ - الصحاح ، لسان العرب ، تاج العروس ، النهاية في غريب الأثر : مادة (برق) .

ويظهر للباحث أنَّ ثمة لغتين في (إستبرق) : إحداها تصرفه ، والأخرى تمنعه من الصرف ، وكلتا اللغتين فصيحة توافق سنن العربية ، ويعتمد الباحث - في ترجيح هذا الرأي - على ما قرره العلماء بقولهم : إِنَّ الإِستبرقَ إِن كان علماً للثياب الغليظة جاز منعه من الصرف العلمية والعجمة¹ ، فالعلماء الذين أنكروا قراءة ابن محيصن لمخالفتها سنن العربية أجازوا منع (إستبرق) من الصرف ، إِن كان علماً للثياب الغليظة ، فيقول الزمخشري وقد أنكر قراءة ابن محيصن : " إِلَّا أَن يزعم ابن محيصن أَنَّهُ قد يُجعل علماً لهذا الضرب من الثياب"² ولا يجيز أبو علي الفارسي منع (إستبرق) من الصرف " إِلَّا أَن يُسمَّى به شيء فينضم إلى مثال الفعل التعريف"³ .

وقد أثنى العلماء على ابن محيصن فقال أبو حيان عنه : إِنَّهُ " قارئ جليل مشهور بمعرفة العربية ، وقد أخذ عن أكابر العلماء"⁴ . وذكر ابن الجزري أَنَّهُ " كان نحوياً قرأ القرآن على ابن مجاهد ، وقال أبو عبيد : وكان من قراء مكة عبد الله بن كثير ، وحמיד ابن قيس ، ومحمد بن محيصن ، وكان ابن محيصن أعلمهم بالعربية وأقواهم عليها ، وقال ابن مجاهد : كان لابن محيصن اختيار في القراءة على مذهب العربية فخرج به عن إجماع أهل بلده ؛ فرغب الناس عن قراءته ، وأجمعوا على قراءة ابن كثير"⁵ .

¹ - انظر : الحجة للقراء السبعة : 6 / 361 ، الكشف : 4 / 674 ، البدور الزاهرة : 408 .

² - الكشف : 4 / 674 .

³ - الحجة للقراء السبعة : 6 / 361 .

⁴ - البحر المحيط : 8 / 400 .

⁵ - غاية النهاية في طبقات القراء : 2 / 167 .

ومن شواهد صرف الممنوع من الصرف (عزير) في قوله تعالى : " وَقَالَتِ الْيَهُودُ
عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ " ¹ .

موطن الشاهد : عزير .

وجه الاستشهاد : مجيء (عزير) مصروفًا ، وهو علم أعجمي ، يُمنع من الصرف
وفق قواعد النحاة ؛ للعلمية والعجمة .

وردت قراءتان متواترتان سبعيتان في (عزير) : الأولى صرفته ، فُقرئ بالتثوين
قرأ بها عاصم ، والكسائي ، ويعقوب ، والقراءة الثانية بغير تثوين قرأ بها الأئمة : أبو
عمرو ، ونافع ، وابن كثير ، وأبو جعفر ، وابن عامر ² .

واختلف العلماء في (عزير) أهو اسم عربي أم أعجمي ؟ وانقسموا إلى فريقين
فريق يرى أنه اسم عربي مشتق من التعزير ، وهو التعظيم ، وفريق آخر يرى أنه اسم
أعجمي ، ولكل فريق حجة ودليله . فذهب الزمخشري ، والألوسي ، والرازي ، وأبو السعود
وابن عاشور ، والشوكاني ، وابن عصفور إلى أن (عزير) علم أعجمي كعازر وعيزرا
وعزرائيل ³ ، وقد اختلفوا في صرف (عزير) ومنعه من الصرف ، فيرى الزمخشري

¹ - سورة التوبة : 9 : 30 .

² - انظر : النشر في القراءات العشر : 2 / 209 .

³ - انظر : معاني القرآن للفراء : 2 / 431 ، تفسير الطبري : 10 / 172 ، معاني القرآن وإعرابه : 2 /
442 ، الكشف : 2 / 250 ، مفاتيح الغيب : 7 / 168 ، شرح جمل الزجاجي : 3 / 31 ، إرشاد العقل
السليم إلى مزايا القرآن الكريم : 4 / 59 ، فتح القدير : 2 / 352 ، التحرير والتثوير : 10 / 168 .

أَنَّهُ مُنْعَ مِنَ الصَّرْفِ " لعجمته وتعريفه " ¹ . أمّا ابن عصفور فيُرجّح صرفه ؛ لأنّ العلم الأعجمي " إِذَا صُغِرَ صُرِفَ " ² .

ويرى أبو عبيد أنّ (عزير) علم أعجمي مصروف ، وهو مصغر عزار تصغير ترخيم ³ ، وعلّة صرفه أنّه " خفيف اللفظ كنوح ولوط فصُرِفَ لَخْفَةِ لفظه " ⁴ ، وقد ردّ أبو حيان قول أبي عبيد ، إذ يقول : " وليس قوله بمستقيم ؛ لأنّه على أربعة أحرف وليس بمصغر ، إنّما هو اسم أعجمي جاء على هيئة المصغر ، كسليمان جاء على هيئة عثمان وليس بمصغر " ⁵ .

أمّا الفريق الثاني فيرى أنّ (عزير) علم عربي من التعزير ، وهو التعظيم ، وممّن قال بهذا القول أبو البقاء العكبري ، وأبو حيان ، والخضري ⁶ ، وقد اختلفوا في علّة حذف التنوين في قراءة مَنْ قرأ (عزير) بغير تنوين ، فمنهم مَنْ ذهب إلى أنّ حذف التنوين لالتقاء الساكنين ، ويؤكد ذلك قول الطبري : " وأمّا مَنْ ترك تنوين عزير فإنّه لمّا كانت الباء من ابن ساكنة مع التنوين الساكن والتقى ساكنان ، فحُذِفَ الأوّل منهما استتقالاً لتحريكه " ⁷ .

وقد رفض النحاة هذا التعليل فيرى أبو حيان أنّ " مَنْ زعم أنّ التنوين حذف من عزير لالتقاء الساكنين ، أو لأنّ ابناً صفة لعزير وقع بين علمين فحذف تنوينه ، والخبر

¹ - الكشف : 2 / 250 .

² - شرح جمل الزجاجي : 3 / 31 .

³ - تصغير الترخيم : وهو عبارة عن تصغير الاسم بعد تجريده من الزوائد التي هي فيه ، فإن كانت أصوله ثلاثة صُغِرَ على فُعِيل ، ثم إن كان المسمى به مذكراً جُرِدَ عن التاء ، وإن كان مؤنثاً أُلْحِقَ تاء التأنيث . انظر شرح ابن عقيل : 2 / 413 .

⁴ - البحر المحيط : 5 / 402 ، وانظر : النهر الماد من البحر المحيط : 3 / 77 .

⁵ - البحر المحيط : 5 / 402 ، وانظر : النهر الماد من البحر المحيط : 3 / 77 .

⁶ - التبيان في غريب إعراب القرآن : 1 / 475 ، البحر المحيط : 5 / 402 ، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل : 2 / 155 .

⁷ - تفسير الطبري : 10 / 173 .

محذوف أي : إلهنا ومعبودنا . فقله متمحل ¹ . وقد اتبع عدد من النحاة أبا حيان في رفضه
تعليل حذف التنوين لالتقاء الساكنين ² .

ويعلل ابن جني حذف التنوين تشبيهاً له بحروف اللين فيقول : " وإنما جاز حذف
التنوين من هذه الأسماء في هذه الأماكن ، وقد كان الوجه تحريكه لالتقاء الساكنين ؛ لأنه
ضارع حروف اللين بما فيه من الغنة وغير ذلك مما قدمنا ذكره فكما يُحذفُ لالتقاء الساكنين
في نحو : رمى القوم ، وقاضي البلد ، ويدعو القوم ، كذلك حذف التنوين لالتقاء الساكنين
وهو مراد بذلك على إرادته أنهم لم يجروا ما بعده بإضافته إليه ³ . ويرى المبرد أنَّ تعليل
حذف التنوين لأجل التقاء الساكنين تعليل واهٍ ؛ " لأنَّ حق التنوين أنَّ يُحرَّكَ لالتقاء الساكنين ⁴ .

ويتبدى للباحث أنَّ (عزير) علم أعجمي يؤكد ذلك ما قرره اللغويون بقولهم : إنَّ
(عَزِير) تصغير عَزْر : وهو اسم نبيٍّ مُختلف في نبوَّته ينصرفُ لِخِفَّتِهِ ، وإنَّ كان أعجمياً
مثل لوط ونوح ؛ لأنه تصغير عَزْر ، وهو اسم عبراني وافق لفظه العربية ⁵ .

ويتبين للباحث أنَّ ثمة لغتين في (عزير) : إحداهما تمنعه من الصرف ؛ للعجمة
والتعريف وفقاً لقواعد النحاة التي قعدوها ، والأخرى تُجيز صرفه ، وقد وردت هاتان اللغتان
الفصيحتان في القراءات المتواترة ، وهي قراءات صحيحة وفصيحة أجمعت الأمة كافة
على صحتها وفصاحتها .

¹ - البحر المحيط : 402 / 5 ، انظر : النهر الماد من البحر المحيط : 77 / 3 .

² - انظر : المقتضب : 316 / 2 ، الكشف : 251 / 2 ، إرشاد العقل السليم : 60 / 4 .

³ - سر صناعة الإعراب : 92 / 2 .

⁴ - المقتضب : 316 / 2 .

⁵ - انظر : الصحاح في اللغة ، لسان العرب ، تاج العروس : مادة (عزر) .

ويتضح للباحث من خلال ما سبق أنَّ مَنْ صرف (عزير) مصيب غير مخطئ وقد أصاب وجهًا من وجوه اللغة العربية ، وَمَنْ منعه من الصرف مصيب - أيضًا - غير مخطئ " فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ، وإن كان غير ما جاء به خيراً منه ¹ .

صرف العلم المعدول

وورد في القرآن الكريم صرف العلم المعدول كقوله تعالى : " إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ² . قال الإمام الشاطبي :

وَنَوْنُ بِهَا وَالنَّازِعَاتِ طُوًى ذَكََا وَفِي اخْتَرْتُكَ اخْتَرْنَاكَ فَازَ وَتَقَلَّا ³

وقد " وردت قراءتان في طوى ، إحداهما بالتثوين ، ووجه هذه القراءة أنَّه اسم علم للواد المقدس ، والقراءة الأخرى وردت بلا تثوين ؛ لأنَّه معدول عن (طاوٍ) فلا ينصرف للتعريف والعدل ⁴ .

¹ - الخصائص : 1 / 400 .

² - سورة طه : 12 . ومنها قوله تعالى : " إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى " سورة النازعات : 16 .

³ - شرح الفاسي على الشاطبية : 3 / 160 وما بعدها .

⁴ - السبعة : 417 ، إعراب القرآن للنحاس : 3 / 24 ، الحجة في القراءات السبع : 215 التذكرة في القراءات لابن غلبون : 358 ، حجة القراءات : 451 ، التيسير في القراءات : 122 ، المستنير في القراءات : 2 / 288 ، التبيان في إعراب القرآن : 2 / 180 ، النشر في القراءات العشر : 2 / 240 إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : 9 / 99 ، الكشف عن أوجه القراءات السبع : 2 / 96 التبصرة في القراءات : 716 ، البدور الزاهرة : 206.

وقد ذكر ابن خالويه أنَّ عيسى بن عمر¹ والضحاك² قرأاً (طاوي)³. وذكر النحاة أنَّ في طوى لغتين بضم الطاء وكسرهما هما : طوى ، طوى ، وهو الجبل يُصرف ولا يُصرف ، ويؤكد ذلك ما قرره الفراء بقوله : " طوى ، وطوى اسمان لغتان بضم الطاء وكسرهما ، وهو الجبل ويُجرى ولا يُجرى⁴ وقد قرئ بهما⁵ " ، وقد ذكر ابن هشام أنَّ " مَنْ منع صرفه فالمعتبر فيه التأنيث باعتبار البقعة لا العدل عن طاوٍ ؛ لأنَّه قد أمكن غيره فلا وَجَهَ لِنَكَلْفِهِ ويؤيده أنَّه يُصرف باعتبار المكان⁶ .

وممن قرأ (طوى) بالتثنية وضم الطاء ابن عامر والكسائي ، وقرأ أهل المدينة والبصرة بغير تثنية ، وقد ذكر النحاة أنَّ مَنْ صرف (طوى) " فمن وجهين أحدهما : أنَّ يجعله اسم الوادي فيُصرف ؛ لأنَّه سمى مذكراً بذكر ، والوجه الآخر : أنَّ يجعله صفة وذلك في قول مَنْ قال : إِنَّهُ قُدْسٌ مرتين ، فيكون (طوى) كقولك ثناء ، ويكون صفة كقولهم مكاناً سوى وقوم عدى ، وجاء في طوى الضم والكسر كما جاء في قوله مكاناً سوى الكسر والضم⁷ .

¹ - عيسى بن عمر النخعي بالولاء من أئمة اللغة وهو شيخ الخليل وسيبويه ، وهو أول من هذب النحو ورتبه ومن تصانيفه : الجامع ، والإكمال في النحو ، قال الأنباري : ولم نرهما ولم نر أحداً رآهما . توفي سنة 149 هـ . الأعلام : 5 / 106 .

² - محمد بن محمد الضحاك أبو الحسن المقرئ البغدادي ، روى قراءة عاصم عن القاسم بن أحمد الخياط روى عنه الحروف عثمان بن أحمد السمال وعبد الواحد بن عمر . غايه النهاية : 2 / 240 .

³ - انظر : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع : 90 .

⁴ - مصطلحان من مصطلحات نحاة الكوفة ويقصد بها : يُصرف و لا يُصرف .

⁵ - المقصور و الممدود : 77 ، وانظر : معاني القرآن للفراء : 2 / 175 .

⁶ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : 4 / 119 .

⁷ - الحجة للقراء السبعة : 5 / 219 .

ومَنْ لم يصرف احتمل أمرين أحدهما : " أَنْ يكون اسماً لبقعة أو أرض وهو مذكر فهو بمنزلة امرأة سميتها بحجر ، ويجوز أَنْ يكون معدولاً كعُمَر ، فَإِنْ قلت : إِنَّ عمر معدول عن عامر ، وهذا الاسم لا يعرف عمَّ عُدِلَ ، بَأَنَّهُ لا يمنع أَنْ يقدر العدل عمّا لم يخرجوه إلى الاستعمال ألا ترى أَنْ جُمِعَ و كُتِعَ معدولتان عمّا لم يُستعمل وكذلك يكون طُوًى ¹ .

ويترأى للباحث - من خلال ما سبق - أَنَّ طوى اسم للوادي المقدس ، وهو معدول عن طاوٍ ، فمن منعه من الصرف فللعلمية والعدل ، ويعتمد الباحث على ما ذكره اللغويون فقد ذهبوا إلى أَنَّ طوى اسم للوادي المقدس ، وفيه لغتان (طُوًى ، وطوى) ، ويقوي هذا الرأي ما ذكره البخاري بَأَنَّ طوى اسم للوادي المقدس ² . ويؤكد ذلك ما ذكره أبو حيان بقوله : " وقد قرأ الحسن والأعمش ، وأبو حيوة ³ وابن أبي إسحاق ، وأبو السمال ⁴ ، وابن محيصن ⁵ بكسر الطاء منوناً ، وقرأ الكوفيون ⁶ ، وابن عامر بضمهما ، وقرأ الحرميان ⁷ وأبو عمرو بضمهما غير منون ، وقرأ أبو زيد عن أبي عمرو بكسرها غير منون ⁸ .

¹ - كتاب السبعة : 417 ، إعراب القرآن للنحاس : 5 / 91 ، الحجة للقراء السبعة : 5 / 220 البيان في غريب إعراب القرآن : 2 / 139 .

² - انظر صحيح البخاري : 528 .

³ - أبو حيوة : شريح بن يزيّد الحضرمي الحمصي صاحب القراءة الشاذة ومقري الشام ، مات في صفر سنة ثلاث ومائتين . غاية النهاية في طبقات القراء : 1 / 325 .

⁴ - قعنب بن أبي قعنب أبو السَّمال بفتح السين وتشديد الميم وباللام العَدَوِي البصري له اختيار في القراءة شاذ عن العامة . غاية النهاية : 2 / 27 .

⁵ - محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي مولا هم المكي ، مقرئ أهل مكة مع ابن كثير ثقة ، قال أبو عبيد : وكان من قراء مكة عبد الله بن كثير وحמיד بن قيس ، ومحمد بن محيصن ، وكان ابن محيصن أعلمهم بالعربية ، وأقواهم عليها ، مات ابن محيصن بمكة سنة 223 هـ . غاية النهاية : 2 / 167 .

⁶ - الكوفيون : عاصم ، وحزمة والكسائي وخلف .

⁷ - الحرميان : ابن كثير المكي ، ونافع المدني .

⁸ - البحر المحيط : 6 / 231 .

ويميل الباحث إلى القول : إِنَّ للعرب في الاسم المعدول لغتين : إحداهما المنع من الصرف ، والأخرى الصرف ، وإن كانت الأولى الأشهر والأفصح ، فاللغتان جائزتان كما قال ابن جني : " فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ ، وإن كان غير ما جاء به خيراً منه " ¹ .

صرف الوصف المعدول

ومن شواهد صرف الممنوع من الصرف قوله تعالى : " فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى " ² .
موطن الشاهد : سُوًى .
وجه الاستشهاد : صرف سُوًى ، وهو وصف معدول ، وحققها المنع من الصرف ؛ للوصفية والعدل .

وقد وردت في (سوى) قراءتان فقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب (سُوًى) بضم السين والتنوين ، وقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو (سُوًى) بكسر السين والتنوين ³ . وقد أشار ابن خالويه إلى قراءتين في (سوى) القراءة الأولى بكسر السين من غير تنوين ، والقراءة الثانية بضم السين من غير تنوين ونسب هذه القراءة إلى الحسن البصري وعيسى بن عمر ، كما نسب بعض المفسرين هذه القراءة إلى قتادة وطلحة والأعمش ، وابن أبي ليلى وأبو حاتم وابن جرير ⁴ .

¹ - الخصائص : 1 / 400 .

² - سورة طه : 58 .

³ - انظر : شرح الفاسي على الشاطبية : 3 / 163 ، التبصرة في القراءات السبع : 591 .

⁴ - انظر : مختصر في شواذ القرآن : 90 ، مفاتيح الغيب : 22 / 71 ، البحر المحيط : 6 / 249 روح المعاني : 16 / 318 ، فتح القدير : 3 / 371 ، التحرير والتنوير : 16 / 245 .

وعَلَّق ابن جني على هذه القراءة التي منعت صرف (سوى) بقوله : " تَرَكَ صرف
سوى هاهنا مشكل ، وذلك أَنَّهُ وصف على فُعَل ، وذلك مصروف عندهم كـ (مال بُد)
ورجل حُطَم ، ودليل خُتَع وسُكَع إلا أَنَّهُ ينبغي أَن يُحمل عليه أَنَّهُ محمول على الوقف عليه
فجاء بترك التتوين ، فإنَّ وصل على ذلك فعل نحو من قولهم : سببًا وكلكلًا ، فجرى
في الوصل مجراه في الوقف " ¹ .

ويظهر للباحث أَن سوى فيها أربع لغات الأولى : سوى بالضم السين والتتوين
والثانية : سوى بكسر السين والتتوين ، والثالثة : سوى ممنوعة من الصرف ، والرابعة
سوى ممنوعة من الصرف أيضًا .

وقد ورد عن الأخفش قوله : " سمعنا من العرب من يصرف جميع ما لا ينصرف
ومن خالف مصحفه من الأئمة في شيء من ذلك فللرواية ، ومن لم يصرف ؛ فلأنَّها أمثلة
لا تنصرف معرفة ، ولا نكرة ، ومن وقف بألف رعى الرسم ؛ ولأنَّ الفتحة قد تعتمد بالألف
في الوقف إذ لا يمكن روم المفتوح لخفته فإذا وصل استغنى عن العماد " ² . ومن الذين
يصرفون الممنوع من الصرف بنو أسد ، وهذيل ³ .

وقد ذهب بعض المحدثين إلى أَنَّ القراءات القرآنية تمثل لهجات عربية فصيحة ، فيرى
عبدہ الراجحي أَنَّ القراءات القرآنية المرآة الصادقة التي تعكس الواقع اللغوي الذي كان سائدًا

¹ - المحتسب : 2 / 52 .

² - فنح الوصيد : 2 / 501 .

³ - الكتاب : 2 / 856 ، شرح الأشموني : 2 / 511 ، إرشاد السالك : 2 / 738 ، انظر من لغات العرب
لغة هذيل : 362 وما بعدها .

في الجزيرة العربية قبل الإسلام ، إذ يقول : " ونحن نعتبر¹ القراءات أصل² المصادر جميعاً في معرفة اللهجات العربية ؛ لأنَّ منهج علم القراءات في طريقة نقلها يختلف عن كل الطرق التي نقلت بها المصادر الأخرى كالشعر ، والنثر ، بل يختلف عن طريق نقل الحديث³ . ويرجح عبد الغفار هلال أنَّ " الأولى تفسير هذه القراءات على أساس لهجي من حيث المكان ، والزمان ، والاجتماع ، والثقافة ، والحضارة ، فهي مظهر من مظاهر اللهجات التي كانت منتشرة في الجزيرة العربية ، وذاب بعضها في اللغة العامة ، وبعضها ظل محافظاً بطابعه واضحاً في ما بقي من اللهجات التي تمثلها لنا القراءات ، وما بقي من أشعار العرب وأحاديثهم التي وصلتنا⁴ في كتب اللغة ، والنحو⁵ . وقد رجح أحد الباحثين " أنَّ بعض القبائل العربية لم تكن تعرف الممنوع من الصرف⁶ .

ويميل الباحث إلى القول : إنَّ صرف الممنوع من الصرف في القرآن الكريم لغة عربية فصيحة ، ويستند الباحث في ترجيح هذا القول إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه الإمام البخاري عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَفْرَأْنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَأَجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أُسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى

¹ - هكذا وردت في المصدر ، والصواب " نعد " ؛ لأنَّ العَيْرَ جمعُ عَيْرة وهي كالمَوْعِظَةِ مما يَتَعَطَّ بِهِ الإنسان وَيَعْمَلُ بِهِ وَيَعْتَبِرُ ليستدل به على غيره والعَيْرة الاعتبارُ بما مضى . لسان العرب : (مادة عبر) .

² - هكذا وردت في المصدر ، والصواب أصلُ المصادر ؛ لأنَّ الأصل : أساس الشيء ، أمَّا أصلُ فمعناها دخل فيه ، وأصلنا دخلنا في الأصل . انظر اللسان ، والقاموس ، ومقاييس اللغة : مادة (أصل) .

³ - اللهجات العربية في القراءات القرآنية : 93 .

⁴ - هكذا وردت في المصدر والصواب " وصلت إلينا " ؛ لأنَّ وَصَلَهُ إِذَا أَعْطَاهُ مَالاً وَالصَّلَّةُ الْجَائِزَةُ وَالْعَطِيَّةُ وَوَصَلَ الشَّيْءُ إِلَى الشَّيْءِ وَوُصُلًا وَتَوَصَّلَ إِلَيْهِ انْتَهَى إِلَيْهِ وَبَلَغَهُ . لسان العرب : مادة (وصل) .

⁵ - القراءات وصلتها باللهجات العربية : 459 .

⁶ - دور اللهجة في توجيه القراءات عند أبي حيان الأندلسي في تفسير البحر المحيط : 231 .

إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ¹ . فقد ذكر الإمام النووي - رحمه الله - أَنَّ العلماء قَالُوا : إِنَّ سَبَبَ إِنْزَالِهِ عَلَى سَبْعَةِ التَّخْفِيفِ وَالتَّسْهِيلِ ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (هَوْنٌ عَلَى أُمَّتِي)² .

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : سَبْعَ لُغَاتِ الْعَرَبِ يَمْنَهَا وَمَعَدَّهَا وَهِيَ أَفْصَحُ اللُّغَاتِ وَأَعْلَاهَا . وَقِيلَ بَلِ السَّبْعَةُ كُلُّهَا لِمُضَرٍّ وَحْدَهَا وَهِيَ مُتَفَرِّقَةٌ فِي الْقُرْآنِ غَيْرُ مُجْتَمِعَةٍ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ . وَقِيلَ بَلِ هِيَ مُجْتَمِعَةٌ فِي بَعْضِ الْكَلِمَاتِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ)³ ، وَ (نَرْتَعُ وَنَلْعَبُ)⁴ وَ (بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا)⁵ ، وَ (بَعَذَابٍ بَيِّسٍ)⁶ وَغَيْرِ ذَلِكَ⁷ .

¹ - صحيح البخاري : 537 ، رقم الحديث : 4991 .

² - روى الإمام مسلم عن أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ : كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ ، فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلَاةَ دَخَلْنَا جَمِيعًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُ : إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ ، وَدَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ ، فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ = صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَرَأَا فَحَسَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَأْنَهُمَا فَسَقَطَ فِي نَفْسِي مِنَ التَّكْذِيبِ وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَا قَدْ غَشَيْتَنِي ضَرْبٌ فِي صَدْرِي ، فَفَضْتُ عِرْقًا وَكَأَنَّمَا أَنْظَرُ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَقَالَ لِي : يَا أَبَى أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوْنٌ عَلَى أُمَّتِي . فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوْنٌ عَلَى أُمَّتِي فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّلَاثَةَ أَقْرَأَهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَلَمْ يَكُلْ رَدَّةً رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةً تَسْأَلُنِيهَا . فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأُمَّتِي وَأَخْرَجْتُ الثَّلَاثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَى الْخَلْقِ كُلُّهُمْ حَتَّى إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . صحيح مسلم : 2 / 202

³ - نص الآية " قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ " سورة المائدة : 60 / 5 .

⁴ - نص الآية " أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " سورة يوسف : 12 / 12 .

⁵ - نص الآية " فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَّقْنَاهُمْ كُلَّ مَرْقٍ إِنَّ

فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ " سورة سبأ : 34 : 19 .

⁶ - نص الآية " فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَيِّسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ " سورة الأعراف : 7 : 165 .

⁷ - شرح صحيح مسلم : 6 / 99 .